

الشعراء الاندلسيون

ميزة الشعر

شعر الجهاد . شعر العصية الخزية . تقليد الاندلسيين
للمشركة . تجديدهم . رقة شعرهم . صورهم . معانيه
غير دقيقة .

عجز الشعر الى الاندلس مع العرب المهاجرين ، فكان الشعراء يحضون به
الفرسان على الجهاد، ويثيرون الحراسة في صدورهم عند مواقف الاهوال ، ويغذون
به عصية الاحزاب بين المضرية والبيانية، ويجرضون الناس على الفتنة والشغب . بيد
انه ليس لدينا من هذا الشعر ما يسهل البحث فيه، والكلام عليه، الا اننا نعلم انه
لا يخرج بأسلوبه ولغته ومعانيه عن الشعر الاموي في المشرق، ولا غرو فاصحابه
اسلاميون مشاركة .

وظل الاندلسيون يولون وجوههم شطر المشرق في اكثر شؤونهم ، لانه مطلع
انوارهم، ومهد حضارتهم، ولانهم يرون في اهله المثل الاعلى الذي ينبغي ان يقتدى
به . فراحوا يقتفون آثارهم، وينسجون على منوالهم ، واطلقوا على بعض مدنيهم
اسماء مدن كانوا يسكنونها في الشام فسموا غرناطة دمشق ، واشيلية حمص ،
وشريش فلسطين، وجيان قنسرين ✽

وتم يلبث هذا التقليد ان صار منافسة، فكاثروهم في انشاء القصور والحدائق،
والمدارس والمكاتب ، والجوامع والمدائن ، وفي تقريب الشعراء والعلماء، والقيان
والمغنين، حتى انهم كانوا يسعون في استقدامهم من الشرق لياهوا بهم دولة بني
العباس . واطلقوا على نوابع شعرائهم القاب شعراء الشرق وكناهم، فكان غالب

الاندلسي يكنى ابا تمام، وابن زيدون يلقب بالبحثري، وابن هاني بالمتنبي . ولما مات ابن هاني قال المعز الفاطمي : « كنا نريد ان نفاخر به شعراء المشرق ، فلم يقدر لنا ذلك . » وتلقب خلفاؤهم ، وملوكهم بالقباب بني العباس فكان عندهم المنصور، والمهدي ، والمأمون ، والمعتمد ، والمعتمد وما اشبه ذلك .

وسرى حب الجديد في نفوس الاندلسيين كما سرى في نفوس اهل الشرق ، لان الجيل الذي نشأ في اوربة لم يكن عربياً خالصاً فيستمسك بالقديم استمسك العرب الصرحاء الذين اقتحموا الجزيرة في عهد الفتح ؛ وانما كان مزيجاً من عناصر مختلفة اختلطت بالتراوج والسكنى ، فيها العربي والبربري ، وفيها القوطي والرومي ، وفيها اليهودي واللاتيني . فكان له عقلية غير عقلية الجيل البدوي ، وتفكير غير تفكيره ، وحضارة غير حضارته . فسلك شعراء الاندلس مسلك شعراء بني العباس لتشابه الحياة بالترف والنعمة ، ولتشابه البلاد بالخصب وال عمران . فوصفوا بيئتهم واحوالهم ، وتهتكوا وبالغوا في التهتك ، وباحوا لانفسهم من المحرمات ما اباح شعراء الشرق ، ورغبوا مثلهم في الاغراض الجديدة ، والمعاني الحضرية عن الاغراض والمعاني القديمة ، وابدلوا من الاسلوب البدوي اسلوباً حضرياً صرفاً . ونفروا من الالفاظ الغريبة الوحشية الى الالفاظ المأنوسة الرقيقة ، ولولا الدين واللغة وبقية من دم العرب في عروقهم ، لانكروا قديمهم ايما انكار .

والعرب ابعد الناس عن نسيان قديمهم لتمكن غريزة التقليد في نفوسهم ، ثم لما يتعلق بهذا القديم من وشائج دينية وقومية . فقد كان الشعر الجاهلي والاسلامي ديوان المفاخر القبلية ، والحجة التي لا تقزع في تفسير معاني القرآن ومعرفة غريبه . والاندلسيون فيهم عرق من العروبة ، ولهم لغة العرب ودينهم ، فلم يجدوا بداً من الحفاظ على القديم واجلال مكانته ولاسيا الطبقة الارستقراطية من الملوك والامراء والاشراف والفقهاء . فعز على شعرائهم ان يتحرروا كل التحرر بعد ان اتفر لهم الجديد في حضارتهم ، فاصابهم ما اصاب شعراء بغداد في بني العباس . فكانوا يصطنعون الجديد في الغزل والمجون والحمر ووصف الطبيعة وال عمران ، وغير ذلك مما لا يتناول الملوك والامراء بمدح او رثاء ، بل ربما تركوا القديم في مدائحهم ومراثيمهم ،

فلم يَظفوا بأساليب الاعراب ، ومعانيهم واوصافهم ، لتبسّطهم في الحضارة ، وبعد ما بينهم وبين البادية . ولما كان لبيئتهم من الاثر البليغ في استدرار قرائحهم ؛ فمن شعوب غريبة اتخذوا عاداتها وازياءها ، الى عمارة زاهرة ملهمة ، الى طبيعة ساحرة شاعرة .

والشعر الاندلسي فيه رقة وجمال ، وفيه خيال لطيف وصور براقة ملونة ، ولكن ليس فيه من المعاني الدقيقة ما في الشعر العباسي ، لان اصحابه عنوا بتزيين الفاظه ، وتوشية اوصافه ، والتنوّق في قوالبه ، اكثر من عنايتهم بتصيد معانيه ، والغوص عليها في قراراتها البعيدة ؛ فكانهم ارادوا ان يتغنوا ، فنظموه صالحاً للغناء . وشيء آخر جعل الشعر الاندلسي دون الشعر العباسي في دقة المعنى وهو ان الاندلسيين لم تتسع صدورهم لاقتبال الفلسفة والمنطق كما اتسعت صدور المشارقة ، فلم يتثقف بهما شعراؤهم تثقف شعراء بني العباس . وغير خفي ما للفلسفة والمنطق من اثر في توليد المعاني ، وتوسيع الخيال ، وحسن توجيهه وترتيبه .

ولست لغة الاندلسيين محكمة البناء كلغة المشارقة ، وذلك لبعدهم عن البادية ، ووجودهم في بيئة خالصة العجمة من الشمال الى الجنوب . ثم ان الجيل الذي نشأ هناك لم يكن عربياً صافياً وقد كان فيه جماعة استعربوا ونظموا الشعر وهم فرجة خالص .

ولم يترك اهل الاندلس باباً من ابواب الشعر المعروفة الا قرعوه ونوعوا اغراضه وفنونه ، فنه ما ترسموا به اهل المشرق ، فواظواهم في معانيهم ، وشاركوهم في اساليبهم ، وعارضوهم في مشهورات قصائدهم ، ولكنهم لم يبلغوا شأوهم ولا شقوا غبارهم . ومنه ما طبعوه بطابعهم الخاص ، وبذوا به المشارقة ، كوصف الطبيعة وال عمران ، ورتاء الممالك البائدة ، مما سنسبته في كلامنا على فنون الشعر الاندلسي وانواعه .

المدح

اتباعهم خطة المشاركة . التصدير بالغزل ووصف الطبيعة .
طريقة الاسلوب القديم . غريبهم . المغالاة . التمتع .
شعراء المدح .

اتباع شعراء الاندلس في مدائحهم الخطة التي جرى عليها المشاركة ، تحفظوا
مثلهم على الاسلوب القديم ، وعنوا بالاستهلال وحسن التخلص ، واحكام البناء .
وشد اسره ، والتزموا الغزل في محاريب مدائحهم ، وربما جعلوا صدورها وصفاً للخمرة ،
او للطبيعة او للبلد الذي نشأ فيه الشاعر .

واذا شد بعضهم عن هذا السبيل ، فاستهل بالمدح من غير توطئة ، عابوا عليه
ذلك ، وعنفوه . فقد مدح هلال البياني شاعر غرناطة ابن حمد بن قاضي قرطبة
بقصيدة اولها :

عَرَجَ عَلَى ذَاكَ الْجَنَابِ الْعَالِي ، وَأَحْكَمَ عَلَى الْأَمْوَالِ بِالْأَمَالِ (١)
فِيهِ ابْنُ حَمْدِ بْنِ الَّذِي لِنَوَالِهِ ، مِنْ كُلِّ أَرْضٍ شُدَّ كُلُّ رِحَالِ (٢)

فقال له القاضي : « ما هذا الوثوب على المدح من اول وهلة ! الا تدري انهم عابوا
ذلك كما عابوا الطول ايضاً ، وان الاولى التوسط . »

ووصفوا الفلاة والناقة والجراد جرياً مع الاسلوب القديم ، وحنوا على بادية
الاعراب وداراتها ، ولكنهم لم يستفيضوا في وصفهم هذا بل اقتصدوا كل الاقتصاد .
ولم يفرطوا في استعمال الغريب افراط المشاركة ، ولا اغرقوا في المغالاة اغراقهم
الا ما كان من ابن هاني فانه تعمد الغريب تعمداً ، وخرج في غلوه الى الاحالة ، محتدياً
على مثال ابي الطيب المتنبي . وكان هذا الشاعر مغموز العقيدة ، فرمي بالزندقة واخرج

(١) الجناب : فناء الدار، وما قرب من محلة القوم . قوله بالآمال : اي بآمالك .

(٢) نواله : عطائه .

من الاندلس، فجاء المغرب، واتصل بالمعز لدين الله الفاطمي . والفاطيون من الشيعة الغالية التي تعتقد الحلول في الائمة، ومنهم المهدي جد المعز . فكان ابن هاني يجاري عقيدة الفاطميين في الحلولية، ويضع المعز في مقام الانبياء والرسل، ويجعل له قوة وتأيداً من روح الله فيقول :

مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتْ الْأَقْدَارُ ، فَأَحْكُمُ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
وَكَأَنَّمَا أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ، وَكَأَنَّمَا أَنْصَارُكَ الْأَنْصَارُ

او يقول، وكان المعز في رقادة من ارض المغرب :

حَلَّ رَقَادَةَ الْمَسِيحِ ، حَلَّ بِهَا آدَمَ وَنُوحَ
حَلَّ بِهَا اللَّهُ ذُو الْعَالِي ، وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ رِيحُ

وربما خلطوا الفاظ النسب باقفاظ المدح، فعل القزّاز عندما امتدح المعتصم بن

صّادح^(١) بقوله :

نَفَى الْحُبَّ عَنْ مُقَاتِي الْكَرَى ، كَمَا قَدْ نَفَى عَنِ يَدَيَّ الْعَدَمَ^(٢)
فَقَدْ قَرَّ حُبُّكَ فِي خَاطِرِي ، كَمَا قَرَّ فِي رَاحَتِكَ الْكَرَمَ

ويختمون قصائدهم على الغالب باهدائها الى الممدوح، مشبهينها ببيكر حسناء،

او روضة غناء . قال ابن عمّار في كلمة مدح بها المعتضد بن عباد :

وَإِلَيْكَهَا كَالرَّوْضِ زَارَتُهُ الصَّبَا ، وَحَنَى عَلَيْهِ الْأَطْلُ حَتَّى نَوَّرَا^(٣)

ولم يخل مدحهم من قلق وخنوع، واستعطاف .

واشتهر في المدح من شعراء بني امية ابن عبد ربه^(٤) واحمد بن شهيد^(٥) وابن

(١) المعتصم بن صّادح : احد ملوك الطوائف . كانت مملكته صغيرة تشتمل على المرية و بجاية والصمدحيّة، ولكنه كان كريماً مقرباً للشعراء، فقصده ومدحوه . توفي سنة ٤٨٤ هـ .
(٢) (١٠٩١ م) . (٢) احب : اي حب المعتصم . العدم : الفقر . (٣) الطل : المطر الضعيف، والندى . نور : اخرج نوره، والنور : الزهر . (٤) احمد بن عبد ربه القرطبي ولد سنة ٢٤٦ هـ . وتوفي سنة ٣٢٨ هـ . (٥) احمد بن عبد الرحمن الداخل .
اشهر اثاره المعتمد الفريد ، وله ديوان شعر جيد . (٥) احمد بن عبد الملك بن شهيد الاشجعي القرطبي، وزير الخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر واول من تسمى بذي الوزارتين في الاندلس .

هاني^(١) . ومن شعراء الدولة العامرية في قرطبة ابن درّاج القسطلي^(٢) وابو عامر بن شهيد^(٣) . ومن شعراء ملوك الطوائف ابن زيدون^(٤) ، وابن عمّار^(٥) ، وابن اللبّانة^(٦)

(١) هو ابو القاسم محمد بن هاني الازدي الاندلسي الملقب بمتنبي الغرب، ولد باشبيلية سنة ٥٣٢٦ . وتوفي في برقة من المغرب سنة ٥٣٦٢ . (٩٣٧-٩٧٢ م) . اتصل بصاحب اشبيلية في ايام الحكم المستنصر ثم رمي بالزندقة لآخذه بمذاهب الفلاسفة ، فخرج من الاندلس ، فاجتاز البحر الى عدوة المغرب، واتصل بالمعز لدين الله الفاطمي . من آثاره ديوان شعر مشهور . (٢) هو ابو عمر احمد بن دراج الاندلسي القسطلي . كان كاتب المنصور بن ابي عامر وشاعره، وهو معدود من الفحول . ولد سنة ٥٣٤٧ . وتوفي سنة ٥٤٢١ . (٩٥٨-١٠٣٠ م) . (٣) هو ابو عامر بن ابي مروان بن شهيد حفيد احمد بن عبد الملك بن شهيد وزير الناصر . ولد سنة ٥٣٨٢ . وتوفي بقرطبة سنة ٥٤٢٦ . (٩٩٢-١٠٣٤ م) . اتصل بالموثق عبد العزيز بن عبد الرحمن بن ابي عامر وكتب له . وكان بارعاً في الشعر والنثر متفنناً في التصانيف واشهرها التوايع والزواج . (٤) هو ابو الوليد احمد بن عبدالله بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي . كان ابوه من وجوه الفقهاء بقرطبة . وبرع ابن زيدون في الشعر والترسل ، وتقلد الوزارة في عهد الدولة الخيرية بعد انحلال ملك بني امية . ثم دس عليه حساده فسجنه ابن جمهور فهرب من سجنه، وترك قرطبة الى اشبيلية، واتصل بالمعتضد بن عباد، ثم صار وزيراً لابنه المعتمد . ولد بقرطبة سنة ٥٣٩٤ . وتوفي باشبيلية سنة ٥٤٦٣ . (١٠٠٣-١٠٧٠ م) . (٥) هو ذو الوزارتين ابو بكر محمد بن عمار، استوزره المعتمد بن عباد، وكان المعتمد والياً على شلب من قبل ابيه . وساءت سمعة ابن عمار والمعتمد فنفي المعتضد ابن عمار في اقصي بلاد الاندلس . ولما توفي المعتضد وصار الملك الى المعتمد، دعا اليه ابن عمار، وولاه شلب ثم استوزره، وقاد جيوشه . ثم خطر له ان يملك بلنسية بعد ان فتحها، ويخضع طاعة المعتمد . فقبض عليه المعتمد وسجنه، فاخذ يستعطفه بقصائد شهيرة، فلان المعتمد وعفا عنه ثم رجع عن غفوه وقتله بيده سنة ٥٤٧٧ . (١٠٨٤ م) وكانت ولادته سنة ٥٤٢٢ . (١٠٣٠ م) . (٦) هو ابو بكر بن اللبّانة من دانية في الاندلس، اتصل بالمعتضد بن عباد، وكان المعتمد يميزه ويستعذب شعره . ولما نكب المعتمد، وحبس في المغرب وفي له ابن اللبّانة، ورحل اليه يؤنسه بشعره ويؤاسيه، ويشكر له ما ناله من صلته في دولته . واتصل بغير المعتمد من ملوك الطوائف .

وابن حمديس^(١)، وابن الحداد^(٢)، وابن عبدون^(٣). ومن شعراء بني الاحمر ابن الخطيب^(٤) وابن زمرك^(٥).

ونورد هنا مثالين على المدح، تبدو فيهما ميزة هذا الفن عندهم، وهي لا تكاد تختلف عن ميزة المدح عند المشاركة. قال ابن دراج يمدح الحاجب المنصور بن ابي عامر، معارضاً رائية ابي نواس في الخصب^(٦) :

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الثَّوَاءَ هُوَ التَّوَى، وَأَنَّ بُيُوتَ الْعَاجِزِينَ قُبُورٌ (٧)
تُحَرِّفُنِي طُولَ السِّفَارِ وَإِنَّهُ لِتَقْيِيلِ كَفِّ الْعَامِرِيِّ سَفِيرُ

ومنها يصف وداعه لزوجته، ويصور طفله في المهد ابرع تصوير، ثم يعطف الى وصف سفره في القفر والحر :

وَأَلَّا تَدَانَتْ لِلْوَدَاعِ وَقَدْ هَفَا بِصَبْرِي مِنْهَا أَنَّهُ وَزْفِيرُ (٨)

(١) هو ابو محمد عبد الجبار بن حمديس الازدي . ولد في جزيرة صقلية في بحر المغرب بالقرب من افريقية سنة ٤٤٧ هـ . (١٠٥٥ م) . وجاء الاندلس سنة ٤٧١ هـ . (١٠٧٨ م) واتصل بالمعتد بن عباد في اشبيلية، ونال منه سني الجوائز . وتوفي سنة ٥٢٧ هـ بجزيرة ميورقة . (١١٣٢ م) . (٢) هو ابو عبدالله محمد بن الحداد من شعراء المعتصم بن صباح وابنه معن ولم يكن مبتدلاً في مدحه ولا متفالياً . توفي سنة ٤٨٠ هـ . (١٠٨٢ م) . (٣) هو ابو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري وزير بني الافضس في بطليوس وشاعرهم توفي سنة ٥٢٠ هـ . (١١٢٦ م) . (٤) هو ذو الوزارتين لسان الدين محمد بن عبدالله المعروف بابن الخطيب . شاعر محمد بن ابي الحجاج احد ملوك بني الاحمر، ووزيره . وشى به حساده ومنهم تلميذه ابن زمرك . فنكبه السلطان فهرب الى المغرب، ثم سجن بفاس وخنق في سجنه سنة ٧٧٦ هـ . (١٣٧٤ م) وكانت ولادته بمرنطة سنة ٧١٣ هـ . (١٣١٣ م) . (٥) هو ابو عبدالله محمد بن يوسف الصريحي المعروف بابن زمرك ولد في غرناطة سنة ٧٣٣ هـ . (١٣٣٢ م) . واتصل بالوزير لسان الدين بن الخطيب . وافاد منه ادباً وعلماً وشهرة . وعهد اليه محمد بن ابي الحجاج بكتابة سره، وهو الذي وشى بابن الخطيب ولي نعمته . ثم نقم عليه السلطان فقتله شر قتلة سنة ٧٩٦ هـ . (١٣٩٣ م) . (٦) هي القصيدة التي يقول ابو نواس فيها :

ذَرِينِي أَكْثَرَ حَاسِدِيكَ بِرَحْلَةٍ، إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرُ
إِذَا لَمْ تُتْرَرْ أَرْضَ الْخَصِيبِ رِكَابًا، فَأَيَّ فِتْيٍ بَعْدَ الْخَصِيبِ تَزُورُ؟

(٧) التوى : هلاك المال والمُدْم . (٨) هنا بصبري : ذهب به .

تُتَأَسِدُنِي عَهْدَ التَّمَوَدَةِ وَالْهُوَى ،
 عَيْبِي بِمَرْجُوعِ الْخِطَابِ ، وَلِحِظَةِ
 تَبَوُّأِ مَمْنُوعِ الْقُلُوبِ ، وَمَهْدَتِ
 فَكَلِّ مُفَدَّاةِ التَّرَائِبِ مُرْضِعُ ،
 عَصِيَّتُ شَفِيعِ النَّفْسِ فِيهِ ، وَقَادَنِي
 وَطَارَ جَنَاحُ الْبَيْنِ بِي ، وَهَفَّتْ بِهَا
 لَيْنٌ وَدَعَمَتْ مِنِّي غَيْرًا فَإِنِّي ،
 وَلَوْ شَاهَدْتَنِي ، وَالْهُوَاجِرُ تَلْتِظِي
 أُسَلِّطُ حَرَّ الْهَاجِرَاتِ إِذَا سَطَا ،
 وَأَسْتَنْشِقُ النُّكْبَاءَ ، وَهِيَ لَوَافِحُ ،
 وَلِلْمَوْتِ فِي عَيْنِ الْجَبَانِ تَلَوْنُ ،
 وَفِي الْمَهْدِ مَبْغُومُ الْبِدَاءِ صَغِيرُ (١)
 بِسَمَوْعِ أَهْوَاءِ النَّفُوسِ خَيْرُ (٢)
 لَهُ أَذْرَعُ مَحْفُوفَةٌ ، وَنُحُورُ (٣)
 وَكُلُّ مُحَيَّاةِ الْمَحَاسِنِ ظَيْرُ (٤)
 رَوَاحٌ لِتَدَابِيبِ السُّرَى ، وَبُكُورُ
 جَوَانِحُ مِنْ دُغْرِ الْفِرَاقِ تَطِيرُ (٥)
 عَلَيَّ عَزَمَتِي مِنْ سَجُودِهَا ، لَغَيْرُ (٦)
 عَلَيَّ ، وَرَقْرَاقُ السَّرَابِ يَمُورُ (٧)
 عَلَيَّ حُرِّ وَجْهِي ، وَالْأَصِيلُ هَجِيرُ (٨)
 وَأَسْتَوِطِي الرَّمْضَاءَ ، وَهِيَ تَغُورُ (٩)
 وَلِلدُّغْرِ فِي سَمْعِ الْجَبْرِ صَغِيرُ (١٠)

(١) مَبْغُومٌ : لَا يَفْصَحُ فِي حَدِيثِهِ عَنِ مَعْنَى . (٢) بِمَرْجُوعِ الْخِطَابِ : أَي بِجَوَابِهِ . (٣) مَمْنُوعُ
 الْقُلُوبِ : أَي الْقَلْبُ الْحَصِينُ الْعَزِيزُ الْجَانِبُ . أَذْرَعُ مَحْفُوفَةٌ : قَدْ تَكُونُ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ
 الدَّقْلِي أَسْنَدٌ فِيهِ إِلَى الْفَاعِلِ مَا بَنِيَ لِلْمَعْمُولِ ، وَالْمُرَادُ أَذْرَعُ حَافَةٌ ، كَمَا تَقُولُ حِجَابُ
 مُسْتَوْرٍ أَي سَاتِرٌ . أَوْ قَدْ تَكُونُ بِمَعْنَى مَقْشُورَةٍ ، لِأَنَّهَا فِيهَا ، مِنْ حَفَّتِ الْمَرْأَةُ وَجْهَهَا مِنْ
 الشَّعْرِ قَشْرَتِهِ . وَالْمُرَادُ أَذْرَعُ نَاعِمَةٌ نَقِيَّةُ اللَّوْنِ . أَوْ أَمَّا مَحْفُوفَةٌ بِالْقَافِ الْمَثْنَاءُ : أَي أَذْرَعُ
 مَثْنِيَةٌ مَحْنِيَةٌ لِحَمْلِ الرُّضِيعِ . وَلَكِنْ حَقَفَ لَمْ يَرِدْ مُتَعَدِّيًا فِي كِتَابِ اللَّغَةِ . (٤) ظَيْرٌ : مَخْفَفٌ
 ظَيْرٌ : الْعَاطِفَةُ عَلَى وَلَدِ غَيْرِهَا الْمَرْضِعَةُ لَهُ . (٥) هَفَّتْ : خَفَّتْ . الْجَوَانِحُ : ضُلُوعُ الصَّدْرِ
 تَحْتَ التَّرَائِبِ وَاحِدَتُهَا جَانِحَةٌ . (٦) يَقُولُ : إِنْ حَزَنَّا عَلَيْهِ وَهُوَ رَاحِلٌ يَحْمُرُ مِضَاءَ عِزْمِهِ .
 فَهُوَ يَفَارُ عَلَى عِزْمَتِهِ فَمَا يَرِيدُ أَنْ تَحْمُرَ بِحَزْنِهَا . كَمَا أَنَّهُ يَفَارُ عَلَيْهَا هِيَ ، فَلَا يَرِيدُ أَنْ تَكُونَ
 لَغَيْرِهِ . (٧) الرِّقْرَاقُ : كُلُّ شَيْءٍ لَهُ بَصِيبٌ وَتَلَاوُؤٌ . يَمُورُ : يَتَحَرَّكُ مَتَرَدِّدًا . وَالسَّرَابُ يَظْهَرُ
 إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ . (٨) يَقُولُ : أَنَّهُ يَسْتَقْبِلُ حَرَّ الْهُوَاجِرِ بِوَجْهِهِ الْحُرِّ ، أَي وَجْهِهِ الْكَرِيمِ الْخَالِصِ ،
 وَقَدْ سَطَا الْحَرُّ وَبَلَغَ مِنْ شِدَّتِهِ أَنْ صَارَ الْأَصِيلُ هَجِيرًا . (٩) النُّكْبَاءُ : رِيحٌ بَيْنَ رِيحَيْنِ .
 لَوَافِحُ : مَحْرُوقَةٌ فِي هَبُوجِهَا . وَقَوْلُهُ لَوَافِحُ بِالْجَمْعِ لِأَنَّ النُّكْبَاءَ تَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثِ رِيَاحٍ .
 اسْتَوِطِي الرَّمْضَاءَ : أَجْدَهَا وَطَيْبَتُهَا أَي سَهْنَةُ لَيْتَةٍ . الرَّمْضَاءُ : الْأَرْضُ الْحَارَّةُ الْحَامِيَّةُ مِنْ شِدَّةِ
 الْحَرِّ . تَغُورُ : تَغْلِي . (١٠) يَقُولُ : إِنْ الْجَبَانِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الشَّدَّةِ يَتَصَوَّرُ لَهُ
 الْمَوْتَ الْوَأَنَّ شَيْئًا ، حَتَّى إِنْ الشُّجَاعُ عَلَى جِرَائِمِهِ لَا يَسْلَمُ مِنَ الْخَوْفِ . يَرِيدُ إِظْهَارَ شَجَاعَتِهِ
 وَصَبْرِهِ فِي الْأَهْوَالِ .

بَابُ لَهَا أَنِّي مِنَ الْبَيْنِ جَارِعٌ ، وَأَنِّي عَلَى مَضِّ الْخُطُوبِ صَبُورٌ ^(١)

ومنها في المدح :

وَلَمَّا تَرَامُوا السَّلَامَ وَرُفِعَتْ ، عَنْ الشَّمْسِ فِي أَفْقِ الشَّرُوقِ سُتُورٌ ^(٢)

وَقَدْ قَامَ مِنْ رُزْقِ الْأَيْسَةِ دُونَهُ صُفُوفٌ ، وَمِنْ بَيْضِ السُّيُوفِ سُطُورٌ ^(٣)

رَأَوْا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ اعْتَرَاذُهَا ، وَأَيَّاتِ صُنْعِ اللَّهِ كَيْفَ تُبْدِرُ ^(٤)

وَكَيفَ اسْتَوَى بِالْبَدْرِ وَالْبَحْرِ مَجْلِسٌ ، وَقَامَ بَعْبُ الرِّاسِيَّاتِ سَرِيرٌ ^(٥)

يَقُولُونَ ، وَالْأَوْجَالَ تُخْرِسُ السَّنَاءُ ، وَحَارَتْ عُيُونٌ مِنْهُمْ وَصُدُورٌ ^(٦)

لَقَدْ حَاطَ أَعْلَامَ الْهُدَى بِكَ حَاطٌ ، وَقَدَّرَ فِيكَ الْمَكْرَمَاتِ قَدِيرٌ ^(٧)

وقال ابن عمّار يمدح المعتضد بن عبّاد :

أَدِيرُ الزُّجَاجَةَ ، فَالْنِّيمُ قَدْ أَنْبَرَى ، وَالنَّجْمُ قَدْ صَرَفَ الْعِنَانَ عَنِ السَّرَى ^(٨)

وَالصُّبْحُ قَدْ أَهْدَى لَنَا كَافُورَهُ ، لَمَّا اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ مِنَّا الْعَنْبَرَا ^(٩)

وَالرُّوضُ كَالْعَسْنَا كَسَاهُ زَهْرُهُ ، وَشَيْءٌ وَقَلَدَهُ نَدَاهُ جَوْهَرَا ^(١٠)

- (١) يقول : لعرفت اني صبور على الم الخطوب ، وان كنت فاقد الصبر عند فراقها .
 (٢) يريد ان ممدوحه ظهر للناس الذين اقبلوا للتسليم عليه كالشمس ، وشبه مجلسه بافق الشروق . (٣) يقول : ان اخراس حوله بالرماح والسيوف ؛ يريد اظهار هيبة مجلسه .
 (٤) يقول : رأى الناس كيف اعتراز من يطيع الله ، وكيف تضيء علامات صنائع الله في عييده الطائمين ويريد هذه العلامات نعم الله على ممدوحه . (٥) يقول : ورأوا كيف استقر المجلس بالبدر والبحر معا ، وهما مستعاران للمدوح بجامع الشهرة والجود . وكيف حمل العرش جبلاً راسيات . وهي مستعارة بجامع الرزانة والثبات . (٦) الاوجال : جمع الوجل وهو الخوف . (٧) اعلام : جمع علم وهو شيء في الطريق يجتدى به . وقوله : حائط يريد به الله تعالى . وقدر فيك المكرمات : اي وحكم لك بها . (٨) انبرى : اعترض ، والمراد هب . السرى : السير ليلاً ، والمراد انه طلع الصباح ، وغاب النجم بعد ان كان مطلقاً عنانه للسير في الظلام (٩) الكافور : شيء يشبه الصمغ ايض صلب يستخرج من اشجار في الهند والصين . وقد تعود الشعراء ان يستعبروا لونه لنور الصباح ، كما اعتادوا ان يستعبروا المنبر لظلام الليل . (١٠) شبه قطرات الندى عند الصباح باللائى .

رَوْضٌ كَمَا نَ الْتَهْرَ فِيهِ مِعْصَمٌ ، صَافٍ أَظْلَى عَلَى رِدَاءِ أَخْضَرَ (١)
 وَتَهْرُهُ رِيحُ الصَّبَا فَتَحَلَّهُ ، سَيْفَ ابْنِ عَبَادٍ يُبَدِّدُ عَسْكَرًا (٢)
 مَلِكٌ إِذَا أَرْدَحَمَ الْمُلُوكُ بِسُورِدٍ ، وَنَحَاهُ ، لَا يَرِدُونَ حَتَّى يَصْدُرًا (٣)
 أَنْدَى عَلَى الْأَكْبَادِ مِنْ قَطْرِ النَّدَى ، وَالَّذِي فِي الْأَجْفَانِ مِنْ سِنَةِ الْكِرَى (٤)
 يَخْتَارُ ، إِذْ يَهْبُ الْعَرَبِيدَةُ ، كَأَعْبَاءِ ، وَالطَّرْفِ ، أَجْرَدًا ، وَالْحَسَامِ ، مُجْرَهْرًا (٥)
 قَدَاحُ زَنْدِ الْمَجْدِ لَا يَنْفَكُ عَنْ نَارِ الْوَعَى ، إِلَّا إِلَى نَارِ الْقَرَى (٦)
 لَا خَلْقَ أَفْرَى مِنْ شِفَارِ حَسَامِهِ ، إِنْ كُنْتَ شَبَّهْتَ الْمَوَاكِبَ اسْطِرًا (٧)
 أَيْقَنْتُ أَنِّي مِنْ ذَرَاهُ بِجَنَّةٍ ، لَمَّا سَقَانِي مِنْ نَدَاهُ الْكُوْثَرَا (٨)
 وَعَلِمْتُ حَقًّا أَنَّ رَبِّي مُخْصِبٌ ، لَمَّا سَأَلْتُ بِهِ الْعَمَامَ الْمُنْطِرَا (٩)
 مَنْ لَا تُؤَاوِنُهُ الْجِبَالُ إِذَا أَحْتَبَى ، مَنْ لَا تُسَابِقُهُ الرِّيَّاحُ إِذَا جَرَى (١٠)

(١) شبه النهر الممتد في الروض بمعصم اليد. وشبه الروض حوله برداء اخضر. (٢) يقول :
 تهن الرريح هذا النهر فتتموج مياهه طردا وعكسا فكأن النهر سيف الممدوح، وكان هذه
 الامواج في اضطرابا وتلاشيها عسكر يبده الممدوح بسيفه . (٣) نخاء: قصده . يصدر :
 يرجع عن الماء ضد برد . يبين شرف ممدوحه فيقول : اذا اردحم الملوك بمورد ، وقصد
 ابن عباد هذا المورد ، توقف الملوك هيبه له فلا يشربون الا بعد رجوعه عن الماء ؛ وهذا
 معنى بدوي قديم . (٤) اندى : اكثر خيرا ولطافة وبرودة . السنة : ابتداء النعاس في
 الرأس . يقول : هذا الملك اطيب للاكباد الحارة من قطر الندى، والذي في العيون من النعاس .
 (٥) الحريرة : البكر . كاءباً : ناهداً ، وهي مفعول يختار . الطرف : الكرم
 العتيق من الخيل . (٦) القرى : الضيافة . (٧) افرى : اقطع . وقوله : ان كنت شبيت
 المواكب اسطرا ، اي ان كانت الجيوش تشبه السطور في اضطرافها . فانه اذا ضربها بسيفه
 يقطعها سطرًا سطرًا . وفي ذلك غلو قبيح . (٨) ذراه : كنفه . الكوثر : نهر في الجنة
 عند المسلمين . روي : « انه احلى من العسل ، وابيض من اللبن ، وابرء من الثلج ، والين من
 الزبد ؛ حافظاه من الزبرجد ، واوانيه من فضة ، لا يظما من شرب منه » . وكنتي بالكوثر هنا
 عن الشراب اللذيذ الذي يستقيه اياه ممدوحه ، او عن العطايا السنية ، حتى ظن نفسه في الجنة .
 (٩) جرد من ممدوحه غماماً مطراً يخصب ربه . (١٠) احتبى : جاس عاقداً حبوته . والاحتباء
 ان يجمع الرجل بين ظهره وساقيه اذا جلس ليصير كالمستند . ويكون الاحتباء باليدين او
 بعامة او بثوب او بسيف ونحوه . يقول : ان ممدوحه اذا جلس للشورى والحديث ، كان
 عقله ارزن من الجبال . واذا جرى للحروب والغارات كان اسرع من الرياح .

مَاضٍ، وَصَدْرُ أَرْمَحٍ يَكْفُهُمْ، وَالظُّبَى
 مَلِكٌ يَرُوقُكَ خَلْقُهُ أَوْ خُلُقُهُ،
 هَضَرَتْ يَدَيَّ غُضْنُ النَّدَى مِنْ كَفِّهِ،
 سَقَيْتَ بِسَيْفِكَ أُمَّةً لَمْ تَعْتَقِدْ
 أَثْمَرَ رُمَحِكَ مِنْ رُؤُوسِ كُأْتِهِمْ،
 وَصَبَغْتَ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ مُلُوكِهِمْ،
 نَمَّقْتَهَا شَيْئاً بِذِكْرِكَ مُذْهَباً،
 وَإِلَيْكَهَا كَأَرْوَضِ زَارْتَهُ الصَّبَا،
 تَنْبُو، وَأَيْدِي الْخَيْلِ تَعْتَرُ فِي الْبَرَى (١)
 كَأَلرَّوَضِ يَحْسُنُ مَنْظَرًا أَوْ مَخْبَرًا
 وَجَنَّتْ بِهِ رَوْضَ السُّرُورِ مُنَوَّرًا (٢)
 إِلَّا الْيَهُودَ، وَإِنْ تَسَمَّتْ بَرَبْرًا (٣)
 لَمَّا رَأَيْتَ الْغُضْنَ يُعَشِقُ مُشِيرًا
 لَمَّا عَلِمْتَ الْحُسْنَ يَلْبَسُ أَحْمَرًا
 وَفَتَّقْتَهَا مِسْكَاً بِحَمْدِكَ أَذْفَرًا (٤)
 وَحَنَّا عَلَيْهِ الْبَلُّ حَتَّى نُورًا (٥)

(١) ماضٍ: أي ماضٍ في الحروب . يكفهم : يكل . البرى : التراب . (٢) منوراً :
 مزهراً . (٣) بطن على البربر، لانهم خرجوا على الممدوح، ويرميهم باليهودية . (٤) نمقتها :
 أي القصيدة . فتقتها : خلطتها . أذفر : شديد الرائحة . (٥) البلى : الندى، أو المطر الضعيف .
 نوراً : أزهر .

الرثاء

طريقة المشاركة . حكمهم في الاستهلال . تفوقهم برثاء
المالك الزائلة . شعراء الرثاء .

لا يختلف الاندلسيون عن المشاركة في رثاء الميت ، والتفجع عليه ، والمغلاة في وصفه ، ووصف الزء به . فالاسلوب والتفكير واحد في المعاني والتعابير متواطئة . وربما عرض شعراء الاندلس الى الاحداث التي نزلت بالامم الخالية فابادتها ، او قوضت عروش ملوكها ، وصرعت قرومها وابطالها . وهم انما يقصدون التأسية ، بتعداد فواجع الدهر ، ومصارع الرجال ، وهذا قديم في الادب العربي .

ويستهلون مرثيتهم بالحكم كالمشاركة ؛ وحكمهم في الغالب ساذجة مبتذلة ، تعود في اكثرها على شكوى الدهر ، وعدم الركون الى الايام . يريد انهم فاقوا المشاركة برثاء المالك البائدة لما في نفوسهم من محبة صادقة لوطنهم ، وشغف عظيم بجمال طبيعته وعمرانه . فكان يشجيمهم ان يروا ديارهم تسقط بلداً اثر بلد في ايدي الغريباء من غزاة ومكتسحين ؛ فيكون عليها ويتفجعون كما بكى ابن اللبانة على دولة العباديين ، وابن عبدون على دولة بني الافطس ، عندما ازالهما يوسف بن تاشفين ؛ وكما بكى ابو البقاء الرندي على مدن الاندلس بعد ان استردها النصارى ، وازعجوا عنها المسلمين .

وفي هذه القصائد الثلاث لوعة صادقة ، وتفجع اليم ، ولاسيا نونية الرندي . فان العاطفة الدينية ، زادت روعة والتياغاً . وفي هذه القصائد الثلاث تكاد تجتمع خصائص الرثاء في الشعر الاندلسي . فمن حكم ساذجة وضرب امثال الى ذكر الشعوب السالفة التي اهانها الدهر ، الى امعان في تعظيم الخطب حتى الاغراق . واليك منتخبات منها تطلعك على ميزة الرثاء عندهم ، ولاسيا رثاء المالك .

قال ابن اللبانة يرثي دولة بني عبأد ، ويذكر خروج المعتمد من اشيلية ، وحمله الى المغرب اسيراً ، والناس قد حشروا بفضتي الوادي ، ويكون على الملك المنكوب :

تَبْكِي السَّمَاءَ بِمُزْنٍ رَائِحٍ غَادٍ، عَلَى الْجِبَالِ الَّتِي هُدَّتْ قَوَاعِدُهَا،
 عَلَى الْبَهَائِلِ مِنْ أُنْبَاءِ عِبَادٍ (١)
 وَكَانَتْ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ذَاتَ أَوْتَادٍ (٢)
 فِي ضَمِّ رَحْلِكَ، وَأَجْمَعَ فَضْلَةَ الزَّادِ
 يَا ضَيْفُ، أَفَقَرَّ بَيْتُ الْمَكْرُمَاتِ فَخُذْ
 خَفَّ الْقَطِينُ، وَجَفَّ الزَّرْعُ بِالْوَادِي
 وَيَا مُوَقِّلَ وَاذِيهِمْ لِيَسْكُنَهُ،
 وَأَنْتَ يَا فَارِسَ الْحَيْلِ الَّتِي جَعَلْتَ
 أَتَى السِّلَاحَ، وَخَلَّ الشَّرْفِي فَقَدْ
 تَخْتَالُ فِي عُدَدٍ مِنْهَا وَأَعْدَادٍ (٣)
 إِنْ يُخْلَعُوا فَبِنُو الْعَبَّاسِ قَدْ خَلِعُوا،
 أَصْبَحْتَ فِي أَمْوَاتِ الضَّيْعَمِ الْعَادِي (٤)
 حَمُوا حَرِيصَتَهُمْ حَتَّى إِذَا غَلِبُوا،
 وَقَدْ خَلَّتْ قَبْلَ حِمِّصِ أَرْضِ بَغْدَادِ (٥)
 نَسِيتُ إِلَّا غَدَاةَ النَّهْرِ كَوْنَهُمْ
 سَيِّئُوا عَلَى نَسَقٍ فِي حَبْلِ مُقْتَادِ (٦)
 وَالنَّاسُ قَدْ مَلَأُوا الْعَبْرَيْنِ، وَأَعْتَبَرُوا
 فِي الْمُنْشآتِ كَأَمْوَاتِ بِالْحَادِ (٧)
 حُطَّ الْقِتَاعُ، فَلَمْ تُسْتَرْ مُخَدَّرَةٌ،
 مِنْ لَوْلُو طَافِيَاتٍ فَوْقَ أَرْبَادِ (٨)
 حَانَ الْوَدَاعُ، فَضَجَّتْ كُلُّ صَارِحَةٍ،
 وَمُزِقَّتْ أَوْجُهُ تَمْرِيقَ أِبْرَادِ (٩)
 سَارَتْ سَفَائِثُهُمْ، وَالنُّوحُ يَضْحَكُهَا،
 وَصَارِخٍ مِنْ مُفْدَاةٍ، وَمِنْ فَادِ
 كَأَنَّهَا إِبِلٌ يَحْدُو بِهَا الْعَادِي
 كَمْ سَالَ فِي الْمَاءِ مِنْ دَمْعٍ، وَكَمْ حَمَلَتْ
 تِلْكَ الْقَطَائِعُ مِنْ قَطْعَاتِ أَكْبَادِ (١٠)

(١) المزن : السحاب ذو المطر . البهاليل : السادات الجامعين لكل خير، مفردهما بهلول . (٢) اوتاد الارض : جبالها، ومن البلاد رؤسائها . (٣) يقول : تختال فيما هي عليه من سلاح وعدد كثير . (٤) اللهوات : جمع لهاة : اللحمة المشرفة من اعلى الفم، و اريد جا هنا الفم على الاطلاق ؛ وجمعت لان الضيغم هنا بمعنى العدو المقبر، يهر به عن الواحد والجمع . (٥) حمص : هي ايشبيلية . (٦) المعنى : انهم اسروا وسيقوا منظوماً بعضهم الى بعض بالجبال . (٧) المنشآت : السفن . يقول : ما خطر ببالي انهم يكونون في السفن كالاموات في القبور الا يوم النهر، وهو اليوم الذي غلبوا فيه وحملوا الى سفائن النهر الكبير لتقلهم اسرى . (٨) العبرين : ضفتي النهر . اعتبروا : تعجبوا . اللؤلؤ : اراد به نساء المعتمد شهين باللؤلؤ الجاهن ورونقهن وبياضتهن . ازباد : جمع زبد : رغوة البحر، ويراد جا هنا البحر على الاطلاق . (٩) ابراد : جمع برد وهو الثوب . يقول : ان نساء المعتمد لشدة حزنها، وفجيعتها، كانت سافرة غير مقنعة تمزق وجوهها باظافرها كما تمزق الاثواب . (١٠) القطائع : جمع القطيعة وهي المجران، و اراد جا هنا السفن التي تقطع بين الاهل والمجان .

وقال ابن عبدون يرثي دولة بني الافطس :

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثْرِ، فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّورِ؟^(١)
 فَلَا يَغْرُنُكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتُهَا، فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنَيْهَا سِوَى السَّهْرِ
 مَا لِلْيَالِي، أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَنَا، مِنْ اللَّيَالِي، وَخَانَتْهَا يَدُ الْغَيْرِ^(٢)
 كَمْ دَوْلَةٌ وَلَيْتَ بِالنَّضْرِ خِدْمَتَهَا، لَمْ تُبْقِ مِنْهَا، وَسَلِّ ذِكْرَاكَ عَنْ خَيْرِ^(٣)
 هَوَتْ بِدَارًا، وَفَلَّتْ غَرْبَ قَاتِلِهِ، وَكَانَ عَضْبًا عَلَى الْأَمْلَاقِ ذَا أَثْرِ^(٤)
 وَأَسْتَرْجَعْتَ مِنْ بَنِي سَاسَانَ مَا وَهَبْتَ، وَلَمْ تَدْعُ ابْنِي يُوثَانَ مِنْ أَثْرِ^(٥)

ومنها يتلطف على ابناء المظفر، وهم ملوك بني الافطس :

بَنِي الْمُظْفَرِ، وَالْأَيَّامُ مَا بَرِحَتْ مَرَّاحِلًا، وَالْوَرَى مِنْهَا عَلَى سَفَرِ
 سُحْقًا لِيَوْمِكُمْ يَوْمًا وَلَا حَمَلَتْ بِسِئْلِهِ لَيْلَةٌ فِي غَايِرِ الْعُمُرِ^(٦)

(١) العين : ذات الشيء، ونفسه، ومن امثالهم لا تطاب اثرًا بعد عين يضرب لمن ترك شيئاً يراه ثم تبع اثره بعد فوت عينه . وقوله : فَمَا الْبُكَاءُ اي فَمَا يجدي البكاء . (٢) الغير : احداث الدهر . (٣) الضمير في وليت يعود على الليالي ، وفي خدمتها يعود على الدولة . يقول : كم خدمت الليالي دولة فنصرتنا ثم قلبت لها ظهر المجن فازالتها . (٤) دارا : اسم لعدة ملوك من الفرس . ولعله يريد دارا الثالث الذي مات مقتولاً سنة ٣٣٠ ق . م . غدر به بسوس امير بختريان وهي ولاية من مملكته . وكان قد لجأ اليها في فراره من اسكندر ذي القرنين بعد انكساره في واقعة اربل . اما الرواية العربية، فتعزو قتله الى الاسكندر ، ذكر ذلك المسعودي في مروج الذهب . فالشاعر هنا يريد بقاتله اسكندر المقدوني لابسوس . الغرب : الحد . عضباً : سيفاً قاطعاً . الاملاك : جمع ملك . الاثر : هنا الخبر . ولعله اراد الأثر وحركه للشعر . والاثر : جوهر السيف وروثقه . شبه الاسكندر بسيف قاطع ذي رونق يهوي على رؤوس الملوك، او له خبر عظيم مع الملوك . (٥) ساسان : قيل انه ملك من ملوك العجم حاربه دارا ملك الفرس، ونخب كل ما كان له واستولى على ملكه فصار رجلاً من العامة فقيرا يتردد في الاحياء ويستعطي فضرب به المثل ، ونسب اليه كل من تكدي وياشر امرأ حقيراً . فيقال فلان من بني ساسان وان لم يكن من اولاده . (٦) سُحْقًا : بعداً . ليومكم : اي اليوم الذي زلم فيه، وانقرض ملككم . الغاير : الباقي والماضي . والمعنيان يصحان للبيت . والاول اولى .

مَنْ لِلْأَسْرَةِ، أَوْ مَنْ لِلْأَعْتَةِ، أَوْ
مَنْ لِلرِّيَاحَةِ، أَوْ مَنْ لِلْبِرَاعَةِ، أَوْ
أَوْ دَفَعَ كَارِثَةً، أَوْ دَفَعَ آزِقَةً،
وَيَحِ السَّمَّاحِ، وَيُوحِ الْبَاسِ لَوْسَلِيَا،
سَقَتْ تُرَى الْفَضْلِ وَالْعَبَّاسِ هَامِيَةً،
وقال ابو البقاء الوندي يري الاندلس :

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُهُ،
هِيَ الْأُمُورُ، كَمَا شَاهَدْتَهَا، ذُولُ،
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ،
أَيْنَ الْمُلُوكِ ذُووُ التَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ،
أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ،
وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ،
دَارَ الزَّمَانُ عَلَى دَارًا وَقَاتِلِهِ،

ومنها :

دَهَى الْجَزِيرَةَ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ،
فَأَسْأَلُ بَلَنْسِيَةَ مَا شَأْنُ مُرْسِيَةِ،
هَوَى لَهُ أَحَدٌ، وَأَنْهَدَ تَهْلَانُ^(٨)
وَأَيْنَ سَاطِبَةَ أَمْ أَيْنَ جِيَانُ؟^(٩)

(١) الاسرة : جمع سرير والمراد سرور الملك . الشعر وحرك للشعر : كل فرجة على حدود البلاد يخشى منها هجوم . (٢) البراعة : القوم . (٣) آزقة : مصيبة دانية الساعة . تعيي على القدر : تعجزه . (٤) عمر : هو ابن المظفر محمد بن عبدالله آخر ملوك بني الافطس ، قتله يوسف ابن تاشين سنة ٤٨٧ هـ . (٥) الفضل والعباس : من امراء بني الافطس . هامية : اي سحابة هامية . تغزى : تنسب . يقول : ان هذه السحابة تنسب اليهم من اجل سباحها وجودها لانهم اهل السباح والجلود ؛ والضمير في اليهم يعود على الامراء الثلاثة عمر والفضل والعباس . (٦) وستان : من اخذه ثقل النوم . والمعنى : صار كأنه حلم من الاحلام . (٧) مر الكلام على دارا وقاتله في رائية ابن عبدون . (٨) احد : جبل بالمدينة . تهلان : جبل بنجد . ومعنى البيت ان بادية العرب مهد الاسلام اضطربت لمصاب الاندلس (٩) هذه اسماء مدن من قواعد الاندلس . ام : هنا بمعنى بل .

وَأَيْنَ قُرْطَبَةَ دَارِ الْعُلُومِ فَكَمْ
 وَأَيْنَ حِمصٌ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ تَرْتِهِ،
 قَوَاعِدُهُ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ فَمَا
 تَبْكِي الْخَنيفَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ أَسْفْرِ،
 عَلَى دِيَارٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ،
 حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدِ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا
 حَقَّ الْمَحَارِبُ تَبْكِي، وَهِيَ جَامِدَةٌ،
 يَا مَنْ لِدَلَّةِ قَوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِمْ،
 بِالْأَمْسِ كَانُوا لِمُو كَأَفِي مَنَازِلِهِمْ،
 فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ،
 وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهِمْ،
 يَا رَبَّ أُمِّ وَطْفَلٍ حِيلَ بَيْنَهُمَا،
 وَطَفْلَةٌ مِثْلَ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذْ طَلَعَتْ،
 يَقُودُهَا الْعَلِجُ عِنْدَ السَّبِي مُكْرَهَةً،
 لِيُشَلَّ هَذَا يَدُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدِ،
 مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ أ
 وَنَهَرُهَا الْعَذْبُ قِيَاضٌ وَمَلَانٌ^(١)
 عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ !
 كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْأَيْفِ هَيَّانُ^(٢)
 قَدْ أَقْفَرَتْ، وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمرَانُ
 فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسٌ وَصَلْبَانُ
 حَتَّى الْمَنَابِرُ تَرْتِي، وَهِيَ عِيدَانُ^(٣)
 أَحَالَ حَالَهُمْ جَوْرٌ وَطُغْيَانُ
 وَالْيَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ عُبدَانُ
 عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيَابِ الذَّلِّ الْوَانُ
 لَهَا لِكَ الْأَمْرُ، وَأَسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ
 كَمَا تُفَرِّقُ أَرْوَاحٌ وَأَبْدَانُ
 كَأَنَّمَا هِيَ يَا قُوتٌ، وَمَرَجَانُ^(٤)
 وَالْعَيْنُ بَاكِئَةٌ، وَالْقَلْبُ حَيْرَانُ^(٥)
 إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ

(١) حص: إشبيلية. (٢) الخنيفة: مئة الاسلام. البيضاء: كناية عن النقية. الهيان: من اصابه كالجنون من العشق. (٣) المحارِب، جمع محراب: وهو مقام الامام من المسجد. (٤) طفلة: رخصة ناعمة. (٥) العليج: الكافر.

الشكوى والاستعطاف

آلام الملوك والوزراء . شكواهم . استعطافهم . اصحاب
هذا الفن .

هذا نوع يكاد يتصل بالثناء، لما فيه من بكاء، على الماضي، وتالم من الحاضر .
ويكاد يختص بطبقة الملوك والامراء والوزراء، لما نالهم من النكبات والمحن، فهبطوا
من بعد رفعة، وذلوا من بعد معزة، فمن ذلك قول ابن اللبانة في فخر الدولة بن المعتمد
ابن عباد، وقد رآه بعد سقوط دولتهم في سوق الصياغة ينفخ الفحم بقصبة الصائغ :

سَكَاتُنَا فِيكَ يَا فَخْرَ الْعُلَى عَظُمَتْ ، وَالرُّزَا يَعْظُمُ فَيَمْنُ قَدْرُهُ عَظُمًا
طَوَّقَتْ مِنْ نَائِبَاتِ الدَّهْرِ مَخْنَقَةً ، ضَاقَتْ عَلَيْكَ ، وَكَمْ طَوَّقَتْنَا نِعْمًا ^(١)
وَعَادَ طَوَّقُكَ فِي دُكَانِ قَارِعَةٍ ، مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتَ فِي قَصْرِ حَكَمِي إِرْمًا ^(٢)
صَرَفَتْ فِي آتَةِ الصُّوَاعِ أُنْمَلَةً ، لَمْ تَذِرْ إِلَّا النَّدَى وَالسَّيْفَ وَالْقَلَمَا
يَدُ عَهْدُكَ لِلتَّقْيِيلِ تَبْسِطُهَا ، فَتَسْتَقِلُّ الثَّرِيًّا أَنْ تَكُونَ فَمَا
لِلنَّفْخِ فِي الصُّورِ هَوْلٌ مَا حَكَاهُ سِوَى هَوْلِ رَأْيِكَ فِيهِ تَنْفُخُ الْفَحْمَا ^(٣)
وَدِدْتُ إِذْ نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْكَ بِهِ ، لَوْ أَنَّ عَيْنِي تَشْكُرُ قَبْلَ ذَلِكَ عَمَى ^(٤)

وقول المعتمد بن عباد في بناته وهو اسير في انعام، وقد دخلن عليه يوم الفطر
يهنئنه، وعليهن اطمار بالية، واقدامهن حافية، غارقة في الوحل، وهن يغزلن للناس
بالاجرة :

فِيمَا مَضَى كُنْتُ بِالْأَعْيَادِ مَسْرُورًا ، فَسَاءَ كَ الْعِيدُ فِي أَنْعَامٍ مَأْسُورًا ^(٥)

(١) مخنقة : قلادة . (٢) طوقك : اي البلية التي طوقتها . قارعة : اي قارعة الطريق،
وهي معظمه وموضع قرع المارة . إرم : اي إرم ذات العباد، وهي اما دمشق او الاسكندرية
او موضع بفارس . (٣) الصور : البوق، ويوم ينفخ بالصور : يوم الفياضة . الفحيم والفحيم
واحد . (٤) به : الضمير عائد على هول . (٥) اعامت : بلد قرب مراکش .

تَرَى بِنَاتِكَ فِي الْأَطْمَارِ جَانِحَةً ،
 يَزْنَ نَحْوِكَ لِلتَّسْلِيمِ خَاشِعَةً
 يَطَّانَ فِي الطَّيْنِ ، وَالْأَقْدَامُ حَافِيَةٌ ،
 أَفْطَرْتُ فِي الْعَيْدِ ، لَا عَادَتِ إِسَاءَتُهُ !
 قَدْ كَانَ دَهْرُكَ ، إِنْ تَأْمَرُهُ مُتَمِّلاً ،
 مَنْ بَاتَ بَعْدَكَ فِي مُلْكٍ يُسْرُ بِهِ ،

ومن ذلك استعطاف الوزير ابن عمار للمعتد بن عباد، وهو في سجن إشبيلية :

سَجَايَاكَ ، إِنْ عَافَيْتَ ، أَدْنَى وَأَسْمَحُ ،
 وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الْخَطِّينِ مَزِيَّةٌ ،
 أَقْلَبِي بِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ رِضَى ،
 وَعَفْرِ عَلَى آثَارِ جُرْمِ جَنِيئَتِهِ ،
 وَلَا تَلْتَفِتْ رَأْيَ الْوَشَاةِ وَقَوْلِهِمْ ،
 وَقَالُوا : « سَيَجْزِيهِ فُلَانٌ بِفِعْلِهِ . »
 أَلَا إِنَّ بَطْشًا لِلْمُرَيْدِ يُتَّقَى ،
 وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْ هَوَاهُ تَمِيمَةٌ ،
 وَعُذْرُكَ ، إِنْ عَاقَبْتَ ، أَجْلَى وَأَوْضَحُ (٥)
 فَانْتَ إِلَى الْأَدْنَى مِنْ اللَّهِ أَجْنَحُ (٦)
 لَهُ نَحْوَ رُوحِ اللَّهِ بَابٌ مُفْتَحُ
 بِهَبَّةِ رُحْمَى مِنْكَ تَمْجُو وَتَصْفَحُ
 فَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَرَشَحُ (٧)
 فَقُلْتُ : وَقَدْ يَعْفُو فُلَانٌ وَيَصْفَحُ
 وَلَكِنْ حَلْمًا لِلْمُرَيْدِ أَرْجَحُ
 سَتَشْفَعُ لَوْ أَنَّ الْجَمَامَ مُجْلِحُ (٨)

وشعر الشكوى، اذا جاء عن الملوك، فيه ابا، وعزة، وفيه رصانة الشاكي،

وكبر النفس المتظلمة .

(١) القطمير : شق النواة او الفشرة التي عليها . (٢) حسيرات : متلفعات معيات .
 (٣) كاخا : الضمير يعود على الاقدام . الكافور : طيب من شجر يجبال الهند والصين،
 وهو انواع ومنافه كثيرة (٤) تظيراً : تشفيقاً . (٥) عافيت : وهبت العافية، ودفعت
 المكروه . وقوله ادنى : اي ادنى الى دفع المكروه . (٦) اجنح : أميل . (٧) قوله
 لا تلتفت رأي الوشاة : منصوب على تزع الخافض والصواب لا تلتفت الى رأي الوشاة .
 (٨) التسمية : خرزة رقطا، تعلق في عنق الطفل دفعا للعين الملاحمة . مجاح : مقدم هاجم .

الرجاء

ضعف شعر سياسي . معجوا البرابرة . محجوا التكسب .
العبت . الفحش بالهجو . شعراؤه .

(لم تقم في الغرب سوق رائجة للهجاء السياسي يناضل بها الشعراء عن اخزائهم ، فعل شعراء الشرق ، الا ما كان بين المضرية واليمينية ، في عهد الامراء . غير ان المؤرخين لم يحفظوا لنا شيئاً منه يستحق الذكر ، الا ما كان من هجوههم للفرنجية في ذكر حروبهم معهم ، او هجوههم للبربر بعد ان اعتد هؤلاء بنفوسهم وارادوا مفاخرة العرب ومكاثرتهم) فمن ذلك قول خلف بن فرج السُميسر ، وكان في زمن ملوك الطوائف :

رَأَيْتُ آدَمَ فِي نَوْمِي ، قُلْتُ لَهُ : « أَبَا الْبَرِيَّةِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ حَكَمُوا ؛
« أَنْ الْبَرَابِرَ نَسَلُ مِنْكَ . » قَالَ : « إِذَا حَوَّاءُ طَالِقَةٌ إِنْ صَحَّ مَا زَعَمُوا ا »

ولم يكن للشعوية شأن في الاندلس فينبغ منهم شعراء يهاجون العرب كما في المشرق . فاقصر معظم الهجاء على التكسب والمجون ، ولكنه حفل بالفحش والاقذاع زومن مشهوري الهجائين ابو بكر المخزومي الاعمى^(١) شاعر غرناطة ، وبينه وبين توهون بنت القلاعي الشاعرة معاينات فاحشة غير حرية بالاثبات . وكذلك ولادة بنت المستكفي ولها هجاء قاضح في صاحبها ابن زيدون . واكثر الشعراء الذين ظهروا في الاندلس اصطنعوا الهجاء ولكنهم لم يبلغوا فيه مبلغ المشاركة . فكان هذا الفن صعباً عندهم .

(١) ابو بكر المخزومي كان حياً بعد الاربين وخمس مائة للهجرة (١١٢٥ م) .

الحماسة والفخر

[ضعف الشعر الحماسي . شعراء مداحون يصفون الحروب .

لم يشهر في الاندلس شعراء فرسان يخوضون معامع القتال ، ويذكرون بلاءهم في مواقف الاهوال ، وانما شهر شعراء مداحون وصفوا شجاعة ومدوحهم ، ومعاركهم ، وحضوهم على الجهاد فكانوا اشبه بالمصورين يرسمون مشاهد الحروب ، ولا يصطلون بناها . لذلك لم يرتفع شأن الشعر الحماسي عندهم لان هذا الفن لا يقوم قائمه الا في مواطن الشعراء المغاوير . (ولم يعرف من شعراء الحماسة الا نفر لا يعتقد بهم امثال ابن وهبون^(١) لانهم كانوا ينظمون الحماسة بدافع التقليد والتكلف لا بدافع العاطفة والخطر المطبوع . ودونك شيئا من حماسيات ابن وهبون ومفاخره :

أَتَخَفَى عَلَى الْأَيَّامِ غُرُّ مَنَاقِبِي ، وَقَدْ بَدَّ شَأْوِي شَأْوَ كُلِّ نِقَابٍ^(٢)
وَيَرَكُنِّي رَسْمُ الْحُمُولِ ، وَقَدْ غَدَّتْ
سَأْرِي بِهَمَّاتِي قُصَارَى مَرَاتِي ، وَإِنْ كَانَ أَدْنَاهَا يُطِيلُ طَلَابِي^(٣)
لَتَعْلَمَ أَطْرَافُ الْأَيْسَةِ أَنَّنِي
وَتَشْهَدُ أَطْرَافُ الْيَرَاعَاتِ أَنَّنِي
وَلَيْسَ نَدِيْبِي غَيْرَ أَيْبَضَ صَارِمٍ ، وَلَيْسَ سَمِيرِي غَيْرَ شَخْصٍ كِتَابِي^(٤)

واصدق الفخر عندهم ما اصطبغ بالعاطفة الدينية ، لان الشاعر الاندلسي كثير المباهاة باسلامه لما بينه وبين جيرانه النصارى من العداوة المستحكمة والتنافس الشديد .

(١) هو عبد اجيليل بن وهبون كان من شعراء المعتمد بن عباد ، وعرف بالمجون والانصراف الى الوان اللهو والعبث . والراجح انه توفي في اوائل الربع الثاني من القرن السادس للهجرة . (٢) نقاب ، مصدر ناقب : اي فاخر وغالب . (٣) قصارى مراتي : اي غايتها واقصاها . يقول : انه يريد ان يبلغ جهاته ابعد المراتب مع ان ادنى هذه المراتب يطيل تعب طالبه لغزقا ، وما يحول من المصاعب دون البلوغ اليها . (٤) الصدى : العطر . يقول : سارمي جهاتي الى هذه المراتب الرفيعة حتى تعلم الريح اني كقيل بان اروجها دما عندما تعطر .

الحكم

ضعفها . حالة الفسفة . حكمهم مبتذلة . شعراء الحكم .

(الحكم في الشعر الاندلسي ضعيفة الانتاج، ساذجة التفكير، بديهية التصور، لا تدل على ثقافة ناضجة وعلم واسع . لان الفلسفة والمنطق لم ينتشرا في تلك الربوع، إبان دخولهما اليها كما انتشرا في البلاد الشرقية، ليستقي منهما الشعراء، وانما كان يعني بهما افراد متخصصون . ولم ينبغ فلاسفة الغرب المشهورون الا في القرن السادس للهجرة بعد ان امحت معالم الفلسفة في المشرق . وسبب ذلك ما كان للفقهاء من سلطان على ملوك الاندلس فانهم قهروا حرية التفكير، وكفروا كل متفلسف ومتمنطق، واقتوا برجه وتفيه واحراق كتبه . وكان الدهماء على جهلهم يجارون اهواء العلماء، ويثورون على الفلاسفة ويبطشون بهم، فيضطر السلطان الى استرضائهم باتلاف كتب الفلسفة كما فعل الحاجب المنصور، وبمعاقبة المتهمين بها كما فعل صاحب إشبيلية ابن هاني اذ امر بابعاده لانه كان يأخذ بمذاهب الفلاسفة .

و ابن هاني اكثر الشعراء الاندلسيين احتفالا بالحكمة وضرب المثل، يتحدى بذلك المتنبى، ولكنه يقصر عنه اشواطاً، اذ انه لم تكن له عبقريته، ولم يكن لديه ذلك المعين الفلسفي الذي اعترف منه ابو الطيب فجاءت حكمته غير ناضجة في كثرتها، كما جاءت حكمة غيره من شعراء بلادهم وهي في الغالب قائمة على شكوى الدهر، وذكر الموت، والتحذير من الدنيا الغرور وامثال هذه الاشياء التي ابتدلتها افواه العامة . فمن قوله في رثاء ولد :

وَهَبَ الدَّهْرُ نَفْسًا فَاَسْتَرَدَّ، رَبًّا جَادَ بِخَيْلٍ فَحَسَدَ
إِنَّمَا أُعْطِيَ فَوَاقِي نَاقَةٍ، يَمِيدُ سَيْنًا تَلَقَّاهُ بِيَدِ^(١)

(١) الفواق : ما بين الحلبتين من الوقت لان الناقة تحلب ثم تترك سوية يرضعها الفصيل لندر ثم تحلب . وفي الحديث : « العيادة قدر فواق ناقة . » اي زيارة المريض يلبث فيها الزائر زمناً يسيراً كزمان فواق الناقة . وهنا قوله : اعطى فواقى ناقة على تشنية الفواق والمراد اعطى وقتاً قصيراً .

خَابَ مَنْ يَرْجُو زَمَانًا دَائِمًا تُعْرِفُ الْبِأَسَاءِ مِنْهُ وَالنَّكَدَ
فَإِذَا مَا كَدَّرَ الْعَيْشَ، ثَمَّ، وَإِذَا مَا طَيَّبَ الزَّادَ، نَفِدًا^(١)

وكذلك ابن زيدون نظم في الحكمة فلم يزد على ابن هاني ، قال من قصيدة :

أَلَدَّهْرُ إِنْ أَسْأَلَ، فَصِيحُ أَعْجَمُ، يُعْطِي أَعْتَبَارِي مَا جَبَّهَتْ، فَأَعْلَمُ^(٢)
وَإِذَا أَلْفَتِي قَدَّرَ الْخَوَارِثَ قَدْرَهَا، سَاوَى أَدْنِيهِ الشَّهْدَ مِنْهَا الْعَلَقَمُ^(٣)
وَإِذَا نَظَرْتُ، فَلَا أَعْتَرَارُ يَتَّقِي كُنْهَ الْمَصِيرِ، وَلَا تَوَقَّرَ يُعْصِمُ^(٤)

واراد ابن وهبون ان يتفلسف فجاءت فلسفته غامضة معقدة تفتقر الى صقل وتهذيب . وربما كان اعرق تفكيراً من سواه لانه ادرك القرن السادس للهجرة حيث اخذت الفلسفة الاندلسية بالنضج والازدهار . فن قوله :

نَفْسِي وَجِسْمِي إِنْ وَضَعْتَهُمَا مَعًا، أَلُّ يَدُوبُ، وَصَخْرَةٌ خَلَقَاءُ^(٥)
لَوْ تَعَلَّمُ الْأَجْبَالُ كَيْفَ مَا لَهَا عَلِمِي، أَمَا أَمْتَسَكْتُ لَهَا أَرْجَاءُ^(٦)
إِنَّا لَنَعْلَمُ مَا يُرَادُ بِنَا فَلِمُ تُعْمِي الْقُلُوبُ، وَتَغْلِبُ الْأَهْوَاءُ؟^(٧)
طَائِفُ الْمَنِيَا فِي أَسَالِيبِ الْمَنَى، وَعَسَى طَرِيقُ الصِّحَّةِ الْأَدْوَاءُ^(٨)
تَتَعَابَبُ الْأَضْدَادُ بِمَا قَدْ تَرَى جَابَتْ عَلَيْكَ الْحِكْمَةُ الشَّنَاءُ^(٩)

(١) ثَمَّ : زاد . نَفِدَ : فني . (٢) اعتباري : اختباري الاشياء ونظري اليها حاكماً عليها بحكمي . ما : مفعول ثان اعطيتي . (٣) العلقم : كل شيء فيه مرارة شديدة . (٤) يقول : اذا نظرت الى الحياة الدنيا نظرة حكيم ، علمت انه ليس الاعتزاز بنعيمها هو الذي يستوجب حقيقة المصير اي الموت . وكذلك ليس اتقاؤها بعاصم صاحبه من الموت . (٥) الأَلُّ : السراب . خَلَقَاءُ : ملساء مُصْحَتَةٌ . شبه النفس في اتصالها بالجسم بالسراب الذي يجذعك مرآه ، فتظنه ماء فاذا تتبعته متبيناً حقيقة ذاب امامك ، فالنفس اذا خداعة زائلة كالسراب والجسم يبني بعدها كانه الصخرة الملساء . (٦) الاجبال : جمع جبل . مَا لَهَا : مصيرها . الارجاء : النواحي ، مفردا رَجَا . يقول : لو علمت الجبال ان مصيرها الفناء لدكت من الخوف والهنع . (٧) لِمُ : سَكَّيْتُ للشعر والاصل لِمُ . القلوب : العقول . يقول : نحن نعلم مصيرنا فلماذا تتعب العقول في البحث عنه ، وتغلب عليها اهواء النفس فتقودها الى التفلسف فيما هو معلوم . (٨) ادواء : جمع داء . (٩) يقول : ان الصور المتضادة في ابحاث الحياة والموت هي نتيجة الفلسفة الشنء .

الزهد

اسباب ظهوره . الحروب . سلطة الفقهاء . التوبة بعد الكبائر . مترهدو الشرق . شعراء الزهد .

(غير عجيب ان يظهر فن الزهد في الشعر الاندلسي، وقد علمنا ما للفقهاء من سلطان على الخاصة والعامة، فلا بد لهذا السلطان ان يقود الى التعصب للدين، والاستمساك باحكامه، ثم الى التظاهر بالعبادة والتقوى، والاقتداء بالاولياء الصالحين، والنفور من الدنيا وزينتها والابتعاد عن زخرفها وغرورها، فيكثر الشعراء المترهدون حتى يصبح الزهد صناعة مطلوبة، وزياً مرغوباً فيه. فمنهم من ينظمه بعامل التقوى والصلاح. ومنهم من ينظمه اقتداءً بغيره وارضاءً للفن. ومنهم من ينظر الى الدنيا نظرة خائف فيدم غرورها، ويذكر ذنوبه، وجنونه بملذات الحياة، فيندم ويعتذر الى الله، ثم يعود الى عبثه ومعاصيه. وهذه اختلاجات نفسية تحدث لصاحب الكبائر حيناً بعد حين.)

ولا ريب ان كثرة الحروب، وتوالي الفتن والمحن طبعت في نفوس الشعراء الحساسة الآماً عميقة. فنظروا الى تقلب الاحوال نظرة تشاؤم فقادتهم الى الطعن على الدهر وصروفه، وذم الدنيا وتلونها مما هو طبيعي في النفوس التي تتقلب عليها احوال مختلفة بين شدة ورخاء، وخوف وأمن، وقلق وارتياح.

فمثل هذه الاحداث والغير على اختلاف صورها والوانها تدفع الانسان الدقيق الشعور الى التفكير بمصيره بعد هذه الحياة التي لا تبتم الا لتكشر عن الاثياب. فيهوله سوء المصير، فيفزع الى ربه تائباً مستغفراً، ولطالما قربت الشدائد الى الله من ابتعدوا عنه. واليك شيئاً من زهدياتهم قال ابن عبد ربه في توبته :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةٌ، إِذَا أَخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبٌ^(١)

(١) الغضارة : الطراوة في النبات . الايكة : واحدة الايك وهو ملتف الشجر الكثير .

هِيَ الدَّارُ، مَا الْأَمَالُ إِلَّا فَجَائِعٌ
عَلَيْهَا، وَلَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخَّنَتْ بِالْأَمْسِ عَيْنًا قَرِيرَةً،
وَقَرَّتْ عَيْونًا، دَمَعُهَا الْيَوْمَ سَاكِبٌ^(١)
فَلَا تَكْتَجِلُ عَيْنَاكَ مِنْهَا بِعَبْرَةٍ،
عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا، فَإِنَّكَ ذَاهِبٌ^(٢)

وقال ابن حمديس :

يَا ذُنُوبِي ثَقَلْتِ وَأَنْتِ ظَهْرِي،
بَانَ عُنْدِي فَكَيْفَ يُقْبَلُ عُنْدِي^(٣)
كَلَّمَا ثَبَّتْ سَاعَةٌ عُدَّتْ أُخْرَى
لِضْرُوبٍ مِنْ سَوْءِ فِعْلِي وَهَجْرِي^(٤)
يَارَفِيقًا بِعَسْبِدِهِ، وَمُحِيطًا
عِلْمُهُ بِأَخْتِلَافِ سِرِّي وَجَهْرِي^(٥)
مِلَّ بِقَلْبِي إِلَى صَلاَحِ فَسَادِي
مِنْهُ، وَأَجْبُرُ بِرَأْفَةٍ مِنْكَ كَسْرِي^(٦)
وَأَجْرُنِي بِمَا جَنَّاهُ لِسَانِي،
وَتَنَاجَتْ بِهِ وَسَاوِسُ فِكْرِي^(٧)

(١) سَخَّنَتْ عَيْنًا : ابكتها دموعاً سُخْنَةً أي حارة والدموع الحارة كناية عن دموع الحزن .
قرت عيوناً : أي صبت فيها ماءً بارداً، وبرودة العين كناية عن سرورها، ودمع الفرح عندهم
بارد . (٢) عبرة : دموع قبل فيضها . (٣) بان : غاب . والمراد ليس له عذر . (٤) لضروب :
لانواع . وهجري : افحاشي في المنطق . (٥) باختلاف سري وجهري : يريد انه مؤمن
صحيح الايمان في باطنه ، ولكن اعماله (الظاهرة سيئة . (٦) منه : أي من قلبي . (٧) بما :
الباء هنا سببية أي من اجل ما جنناه لساني .

التصوف

نتيجة التزهد . متصوفو الشرق . شعراء التصوف .

التصوف هو الغاية التي ينتهي اليها التزهد في الاسلام، وانتشار الزهد في الاندلس افضى الى التصوف . وكان لرحلات المشاركة الى الغرب، ورحلات المغاربة الى الشرق يد في اتصال متزهدى الاندلس بالمتصوفة المشرقين . فآخذوا عنهم طرائقهم واصطلاحاتهم، وارااءهم، ونظموا الشعر الصوفي /سئلهم (والمع شعرائهم ابن العربي الشهيد^(١) شيخ المتصوفين، فان له موشحات صوفية سائرة، منها التي اولها سرائر الاعيان . وفيها يقول :

سَرائِرُ الْأَعْيَانِ ، لَأَحْتِ عَلَى الْأَكْوَانِ ، لِلنَّاطِرِينَ ،
وَالْعَاشِقُ الْعَيْرَانَ ، مِنْ ذَاكَ فِي حَرَّانِ ، يُبْدِي الْأَيْنِ^(٢) .

(١) هو محي الدين بن العربي الحافى الطائى الاندلسى . ولد بمرسية، وانتقل الى اشبيلية ثم سافر الى الشرق، ومات في دمشق، وقبره في محلة الصالحية . ولد سنة ٥٦٠ هـ وتوفي سنة ٦٣٨ هـ . (١١٦٤ - ١٢٤٠ م) اثاره كثيرة اشهرها الفتوحات المكبية في التصوف .
(٢) السرائر : الحفايا مفردا سريرة . الاعيان : حقائق الاشياء المدركة بالعيان .
العاشق العيران : الصوفي المرید المعرفة برغبة وتوجد . حرَّان : رملة بالبادية كنى بها عن شدة الظم، والحرَّان ايضاً الشديد العطش .

الوصف

تفننهم . تعدد موضوعاتهم . براعتهم في بعضها

تفنن الاندلسيون في شتى الاوصاف حتى فاقوا المشاركة في بعضها كوصف الطبيعة الناعمة، والمدن العامرة . فكل شاعر منهم متحل بالطبيعة، مشغوف بعمارة بلاده، وليس في الشرق مثلهم الا افاذا معدودون . وكان لهم يد في وصف الفلوات الخالية، والوحوش الضارية، والخيال والابل . وبرعوا في وصف مجالس اللهو والغناء والرقص والشراب وآله . ووصفوا الصيد وادواته، والنساء والغلمان واحوالهم، وطيف الخيال . ووصفوا الحروب والسلاح والسفن . ووصفوا الدنيا والموت وانقراض الممالك وغير ذلك مما يتناول الحضارة والعمارة، والحياة الاجتماعية في حالتها السلم والترف، والحرب والغناء .

وصف المعارك

كثرة الخروب في الاندلس . وصف الجيوش . الخرافات .
الشعراء .

لا بدع ان يكون نوصف المعارك نصيب وافر في الشعر الاندلسي ، فان المسلمين لم يبيتوا ليلة في اسبانية الا على حرب وشيكة ، او حرب يصطلون بلظاها . ولقد احصيت الوقائع التي نشبت بينهم وبين الفرنجة منذ دخولهم الاندلس الى يوم خروجهم منها ، فاذا هي سبع مائة واقعة وثلاثة الاف ، ما عدا الفتن الداخلية التي اثارها المسلمون بعضهم على بعض . فحفلت مدائح الملوك والامراء بذكر المعارك والجيوش والعدد والحراقات . حتى ان ابن عبد ربه نظم الرجوزة في نحو خمسين بيتاً واربع مائة وصف فيها مغازي عبد الرحمن الناصر وفتوحه من سنة ٣٠١ الى ٣٢٢ هـ . (٣٣٣ م .)

وهذه الارجوزة مع طولها لا تعد في طبقة الملاحم ، لضعف الخيال الشعري فيها ، فانها مجرد اخبار وسرد حوادث ، تمت الى التاريخ اكثر مما تمت الى الشعر . واليك شيئاً من احاسنها :

فَأَشْرَعَتْ بَيْنَهُمُ الرِّمَاحُ ،	وَقَدَّ عَلَا التَّكْبِيرُ وَالصِّيَاحُ
وَفَارَقَتْ أَعْمَادَهَا السُّيُوفُ ،	وَفَعَّرَتْ أَفْوَاهَهَا الخُتُوفُ
وَأَلْتَقَتِ الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ ،	وَأَنْغَمَسُوا فِي غَمْرَةِ الْقِتَالِ ^(١)
فِي مَوْقِفٍ زَاغَتْ بِهِ الْأَبْصَارُ ،	وَقَصُرَتْ فِي طُولِهِ الْأَعْمَارُ
وَهَبَّ أَهْلُ الصَّبْرِ وَالْبَصَائِرِ ،	فَأَزَعَقُوا عَلَى الْعَدُوِّ الْكَافِرِ ^(٢)
فَأَنقَضَتِ الْعُقْبَانُ وَالسَّلَاقَةُ ،	رَهَقًا عَلَى مُقَدِّمِ الْجَلَالِقَةِ ^(٣)

(١) غمرة القتال : شدته . (٢) ازعقوا : اي ازعقوا السير : عجلوا به . (٣) السلافة :

اراد جامع سوقى : الكلب المنسوب الى سلوق وهو احسن كلاب الصيد واخفها ، وسلوق

عَبَّانُ مَوْتٍ تَخْطَفُ الْأَرْوَاحَ، وَتُشْبِعُ السُّيُوفَ وَالرِّمَاحَ
فَازْهَرَمَ الْخَيْزِيرُ عِنْدَ ذَاكَ، وَأَنْكَشَفَتْ عَوْرَتَهُ هُنَاكَ^(١)

وللسان الدين بن الخطيب قصيدة كتبت على حيطان الحمراء، ذكر فيها انتصار
الغني بالله محمد بن ابي الحجاج، واستعادته الملك بعد ان كان خلع عنه واضطر الى
مهاجرة الاندلس والاحتيا، بالمغرب. وتشتمل هذه القصيدة على وصف السفن والحياد،
والسيف والرمح، وموقف السلطان في الحرب، وموقف جيشه. قال منها:

لِلَّهِ مَوْقِفُكَ الَّذِي وَثَبَاتُهُ، وَثَبَاتُهُ مِثْلُ بِهِ يُتَمَثَّلُ^(٢)
وَالْحَيْلُ خَطٌّ، وَالْمَجَالُ صَحِيفَةٌ، وَالسَّمْرُ تَنْقَطُ، وَالصَّوَارِمُ تَشْكَلُ^(٣)
وَالْبَيْضُ قَدْ كَسَرَتْ حُرُوفُ جَفُونِهَا، وَعَوَامِلُ الْأَسْلِ الْمُتَقَفِ تَعْمَلُ^(٤)
لِلَّهِ قَوْمُكَ عِنْدَ مُشْتَجِرِ الْقَنَا، إِذْ ثَوَّبَ الدَّاعِيَ الْمُهَيْبُ، فَأَقْبَلُوا^(٥)
قَوْمٌ إِذَا لَفَحَ الْهَجِيرُ وَجُوهُهُمْ، حُجِبُوا بِرَايَاتِ الْجِهَادِ وَظَلَمُوا^(٦)

وكذلك ابن هاني الاندلسي وصف حراقات المعز لدين الله الفاطمي، فاجاد
واحسن. قال من قصيدة:

أَمَا وَالْجَوَارِي الْمُنْشَاتِ الَّتِي سَرَتْ، لَقَدْ ظَاهَرَتْهَا عُدَّةٌ وَعَدِيدٌ^(٧)

قرية في اليمن. اراد بالعبان الفرسان، وبالسلالة خيولهم. رهقاً: أي رهقاً سكنت
للشعر. والرهق: العجل، واللحاق مع الدنو من الملاحق. الجلالة: الاسبانين، مفردها
حليقي منسوب الى جليقية في اسبانية، وهي غاليس.

(١) اختير: العدو او مقدم الجلالة. العورة: كل خلل يحدث في الجيش ابان الحرب،
فيؤدي الى انكساره. (٢) وثباته الاولى من وثب. والثانية من ثبت. (٣) جعل الرماح في
طنعها كأنها تضع النقط على الصحيفة، والسيف في قطعها كأنها تضع الحركات. (٤) جفونها:
اعمالها. العوامل: صدور الرماح. الاسل: الرماح. المتقف: المقوم. وقوله: كسرت
حروف جفونها: اي فارقت اعمالها لا تريد الرجوع اليها، وكسر الحروف والعوامل العامة
من التلميحات النحوية. (٥) مشتجر القنا: مثبتك الرماح. ثوب: استنجد واستغاث.
الداعي المهيب: المدوح. (٦) لفح: اصاب بالاحراق. الهجير: الحر الشديد.
(٧) والجواري: الواو للقسم. الجواري: السفن. ظاهرها: عاوتها.

قِيَابٌ كَمَا تُرْجَى الْقِيَابُ عَلَى الْمَاءِ،
 وَمَرَاغَ مَمْلُوكِ الرُّومِ إِلَّا أَطْلَاعُهَا،
 عَلَيْهَا غَمَامٌ مُكْفَهَرٌ صَبِيحُهُ،
 مَوَاحِرُ فِي طَائِمِي الْعَبَابِ كَأَنَّهَا
 مِنَ الرَّاسِيَّاتِ الشُّمِّ لَوْلَا أَنْتَقَاهَا،
 مِنَ الطَّيْرِ إِلَّا أَنَّهُنَّ جَوَارِحُ،
 مِنَ الْقَادِحَاتِ النَّارِ تُضْرَمُ لِلصَّلَى،
 إِذَا زَفَرَتْ غَيْظًا تَرَامَتْ بِمَارِجِ،
 فَأَفْوَاهُهُنَّ الْعَامِيَّاتُ صَوَاعِقُ،
 لَهَا شَعْلٌ فَوْقَ الْعِمَارِ كَأَنَّهَا
 تُعَانِقُ مَوْجَ الْبَحْرِ حَتَّى كَأَنَّه

وَاللَّيْنُ مَنْ ضَمَّتْ عَلَيْهِ أُسُودٌ^(١)
 تُنَشَّرُ أَعْلَامُهَا وَبِنُودُ
 لَهُ بَارِقَاتُ جَمَّةٌ، وَرَعُودٌ^(٢)
 لِعَزْمِكَ بَأْسٌ، أَوْلِكَيْفِكَ جُودٌ^(٣)
 فَيَنْهَى قِتَانٌ سُمُخٌ وَرَبُودٌ^(٤)
 فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا النُّفُوسُ مَصِيدٌ^(٥)
 فَلَيْسَ لَهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ خُمُودٌ^(٦)
 كَمَا سَبَّ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ وَقُودٌ^(٧)
 وَأَنْفَاسُهُنَّ الزَّافِرَاتُ حَدِيدُ
 دِمَائِهِ تَلَقَّتْهَا مَلَا حَفُ سُودٌ^(٨)
 سَلِيطٌ لَهَا، فِيهِ الذُّبَابُ عَتِيدٌ^(٩)

(١) ترجى : تساق . الماء : البقر الوحشي، وهو مستعار هنا، مفردة مهابة . يقول : هذه السفن هي أشبه بالهوادج التي تساق وعليها النساء الحسن العيون، ولكن ليس عليهن نساء بل رجال كالأسود . (٢) مكفهر : متراكب . الصبير : السحاب الأبيض الذي يصير بعضه فوق بعض . يشير إلى ما تقذفه الخرافات من النار والنفط، وما يتبع ذلك من اصوات ودخان . (٣) يقول : إن هذه السفن صورة لشدة بأس المدوح في قهرها الإعداء، وصورة تكرمه في ما ينال أصحابها من الغنائم . (٤) قتان : جمع قننة وهي أعلى الجبل . ربود : جمع ربيد : الحرف الثاني في عرض الجبل . يقول : هي معدودة من الجبال الراسية العالية لولا حركاتها وانتقالها، وفيها من الجبال رؤوس عالية، ونوائق . (٥) جوارح الطير : ما صاد منها . يقول : هذه السفن معدودة من الطير في سرعتها وامتداد أشرعتها واصطفافها، ثم استدرك فقال إنها من الطير الجوارح . (٦) الصلى : مقاساة حرارة النار . اللقاء : الحرب حيث يلتقي الجيشان . (٧) زفرت غيظاً : أي غيظاً من الغدو؛ جعل لها احساساً وشعوراً . المارح : الشعلة ذات اللهب الشديد . الوقود : ما توقد به النار . (٨) الغبار : جمع غمير، وهو الماء الكثير ومعظم البحر . شبه مياه البحار التي تتلف هذه الشعل بالملاحف السود . (٩) السليط : الزيت . الذباب : جمع ذبالة وهي فتيلة المصباح . عتيد : معد مهياً . يقول : تعانق هذه الشعل المتساقطة موج البحر، فكأنه زيت لها أعدت فيه الفتائل للاشتعال .

الغزل

دواعي الغزل في الاندلس . الأسلوب البدوي . الأسلوب
 الحضري . الاوصاف المادية . الاوصاف الروحانية .
 التذلل للحبيب . غزل الموشحة . غزل المذكر . الشعر
 الأشقر . العيون الزرق . الغزل النصراني . تشبيه الحبيب
 بالرياحين . تفننهم في استخراج التشايب المألوفة . شعراء
 الغزل .

كان كل ما في الاندلس يدعو الى الغزل والنسيب . فمن طبيعة فتانة ، الى
 حضارة وعمران ، الى حدائق ورياض ، الى مجالس للهو والحمر والغناء ، الى سبي متواصل
 واسواق للنخاسة رائجة يباع فيها الجوارى والعلمان باثمان نجسة لكثرتهم . فكان
 من ذلك ان امعن اهل الاندلس في حياة النعمة والترف ، واخلدوا الى الحب والغزل .
 وكان للشعراء قسط وافر من هذه الحياة الرخية ، فتغزلوا وافرطوا في التشبيب .
 فمنهم من كان يحن الى الأسلوب البدوي ، فيذكر اماكن العرب في البادية ، وعرائس
 الشعر عندهم ، او يجذو حدو امرئ القيس وابن ابي ربيعة في القصص الغرامي واجتياز
 الاهوال الى من يجب كما قال ابو عامر بن شهيد معارضاً رائية عمر :

وَأُخْرَى أَعْتَلَقْنَا دُونَهُنَّ وَدُونَهَا قُصُورٌ، وَحُجَابٌ، وَوَالٍ، وَمَعَشْرٌ^(١)
 يُرَيِّنُهَا مَاءَ النَّعِيمِ، وَحَقَّهَا مِنْ الْعَيْشِ فَيَنَانُ الْأَرَاكَةِ أَخْضَرٌ^(٢)
 إِذَا رَامَهَا ذُو حَاجَةٍ هَدَّ وَجْهَهُ ظِيَّ الْبَابِرَاتِ، وَالْوَشِيحُ الْمَكْسَرُ^(٣)

(١) اعتلقنا : احببنا . دونهن : اي دون النساء . ودونها : اي دون الوصول اليها .
 (٢) فينان : ذو الافئنان ، اي الاغصان . الاراكة : شجرة تتخذ منها المساويك ، والمراد
 عيش ناعم غض . (٣) ظي : جمع ظبة وهي حد السيف . البابرات : السيوف الفواطع .
 الوشيج : الرماح وشجرها . وقوله المكسر ، كناية عن كثرة حروب اهلها .

وَمِنْ قُبَّةٍ لَا يُدْرِكُ الطَّرْفُ رَأْسَهَا، تَرَلُّ بِهَا رِيحُ الصَّبَا، فَتَحْدَرُ^(١)
 إِذَا زَا حَمَّتْ فِيهَا المَحَارِمَ صَوَّبَتْ هُبُوبًا عَلَى بُعْدِ المَدَى وَهِيَ تَجَارُ^(٢)
 تَكَلَّفْتُهَا، وَاللَّيْلُ قَدْ جَاشَ بِحِرِّهِ، وَقَدْ جَفَلَتْ أَمْوَاجُهُ تَتَكَسَّرُ^(٣)
 وَمِنْ تَحْتِ حِضْنِي أبيضُ ذُوشِقَاتِي، وَفِي الكَفِّ مِنْ عَسَالَةِ الحُطِّ أَسْمَرُ^(٤)
 إِلَى بَيْتِ لَيْلَى، وَهُوَ قَرْدِيذِي الأَعْضَاءِ يُضِيءُ كَعَيْنِ المُسْتَهَامِ، وَيَزْهَرُ^(٥)

وهذا الغزل بين التقليد والتكلف ولذلك لم يكن له حظ كبير عندهم ،
 لتسكن الحضارة الجديدة من نفوسهم ، وانفصلهم عن اهل البادية ، فخرجوا على
 الاسلوب القديم في كثرتهم ، وانصرفوا الى وصف حياتهم ، وما فيها من عبث وهو
 ومجون ، فتهتكوا في غزلهم ، واسرفوا في التهتك ولا سيما شعراء ملوك الطوائف ومن
 جاء بعدهم ، اذ بلغ الغزل عندهم الى حالة مزرية في معانيه والفاظه .

واعتمد الاندلسيون على الاوصاف المادية في ذكر احبتهم ، كما اعتمد عليها
 المشرقون ، فوصفوا الشعر والعين ، والخذ والثغر والقامة وسواها ، وحلوا بالتشبيه
 الطبيعية المألوفة ، وغاصوا في لجج ارواحهم ، فوصفوا اوعة النفس العاشقة ، واشتياقها
 لقرب الحبيب ، والاستمتاع بجماله ، ومواقف اللقاء والوداع وغير ذلك مما هو داخل
 في اغراض النسيب . وانسوا بعادة التذلل للحبيب ، والتعبد له ، ومناداته بالسيد
 والمولى كقول الرمادي^(٦) :

(١) ترل بها : تفرسربعا . اصبا : ريح تهب من الشرق ، وصف عنوقيتها فقال ان الطرف لا
 يدرك اعلاها . ثم قل ان الريح قر بها فتحدرد عنها ولا ترعزها ، لغوها وتبها . (٢) تجارم :
 جمع مخرم وهو انف الجبل والمراد هنا اعالي القبة . صوبت : ضد صعدت . تجار :
 تصوت . يقول : اذا زاحمت هذه الريح اعالي القبة اخذرت عنها لبعدها وهي تصوت .
 (٣) تكلفتها : اي تجشمت القصد اليها . جاش بحره : اشتد ظلامه . امواجه تتكسر :
 اي يرخى فيه سدل فوق سدل . (٤) ابيض : سيف . شقائق : بروق . العسالة : الرماح
 لللدنة . الحط : مرقا في البحرين تباع فيه الرماح . اسمر : رمح . (٥) الى بيت ليلي :
 يعود الى تكلفتها . الغضا : شجر عظيم يحسن فحمة لصلابته ، وارض لبني كلاب ، وواد بنجد .
 واراد بعين المستهام نورها الفاض من حرارة الشوق ، او من تلالو الدموع . (٦) هو ابو عمر
 يوسف بن هارون المعروف بالرمادي ، شاعر قرطبي مجيد سريع القول ، عاصر المتنبّي ، توفي

أَوْ مَا لِتَقْيِيلِ الْبَسَاطِ خُنُوعًا ، فَوَضَعْتُ خَدْرِي فِي التَّرَابِ خُضُوعًا^(١)
 مَا كَانَ مَذْهَبَهُ الْخُنُوعَ لِعَبْدِهِ ، إِلَّا زِيَادَةَ قَلْبِهِ تَقْطِيعًا
 وشبوا بالجواري والعلاميات والغلمان، وذكروا مجالسهم، ووصفوا حركاتهم
 وسكناتهم، وقصوا اخبارهم معهم . قال ابو عامر بن شهيد :
 ظَنِيَّةٌ دُونَ الظَّيَا قَدْ قَضَيْتْ ، فَاتَتْ غَيْدَاءَ فِي سَكَلِ صَيِّ^(٢)
 فُتِحَ الرَّوْدُ عَلَى صَفْحَتِهَا ، وَحَمَاهُ صُدُغَهَا بِالْعُقْرَبِ^(٣)
 وقال الرِّفَاءُ^(٤) يصف محبوبه وقد رآه يبيل عينيه بريقه ويظهر انه يبكي وليس

ببائك :

يَبُلُّ مَا قِي زَهْرَتَيْهِ بِرَيْقِهِ ، وَيَجْكِي الْبَكَاءَ كَمَا ابْتَسَمَ الزَّهْرُ^(٥)
 وَيُورِهِمْ أَنْ الدَّمْعَ بَلَّ جُفُونَهُ ، وَهَلْ عَصْرَتِ يَوْمًا مِنَ التَّرْجِسِ الْخَمْرُ^(٦)
 وشاع عندهم التشبيب بالشعر الأشقر والعيون الزرق لما كانوا يصيرون من سبي
 فرنجة الشمال وهم زرق شقر في الغالب، ولم يشع ذلك عند المشاركة لغلبة السواد على
 الشعور والعيون، ولا يثارهم اياه على الزرقة والشقرة . قال السُّنْدَرِيُّ^(٧) :
 وَمُهَنْهَفٍ أَبْصَرْتُ فِي أَطْوَاقِهِ ، قَمْرًا بِأَفَاقِ الْمَحَاسِنِ يُشْرِقُ^(٨)
 تَقْضِي عَلَى الْمُهْجَاتِ مِنْهُ صَعْدَةٌ ، مُتَالِقٌ فِيهَا سِنَانُ أَزْرَقِ^(٩)

وكان من جراء اختلاطهم بالنصارى، ان شاع عندهم الغزل النصراني، وذكر
 الكنائس والقساوسة والصلبان كغزل ابن الحداد في نويوة النصرانية، وكان

(١) البساط: الارض المنبسطة المستوية، او هو البساط بالكسر. خنوعاً: ذلاً. (٢) دون
 الظبا: غير الظبا. غيداء: لينة الاعطاف مائلة العنق. (٣) صفحتها: خدها. العقرب:
 مستعار للشعر المتدلي على الصدغ. (٤) هو ابو عبدالله محمد بن غالب المعروف بالرفاء، ينتسب
 الى روضة الاندلس وهي بليدة عند بلنسية. توفي بالقة سنة ٥٧٢ هـ. (٥) اي كما ابتسم الزهر للندى. (٦) اراد بالترجس عيونه، وبالخمر ريقه. (٧) هو ابو محمد
 عبدالله بن محمد البكري منسوب الى شندرين بلدة في الاندلس. توفي بالمرية سنة ٥١٧ هـ.
 (٨) وكان قليل الحظ وعاش محروماً. (٩) الاطواق، جمع طوق: ما استدار وحلي
 به العنق. (٩) الصعدة: القناة المستوية والمراد قامته. والمراد بسنانها الازرق عينه الزرقاء.

يواها، فلم ترض به بعلاً لاختلاف دينها عن دينه، فهاهنا و أكثر من التشبيب
وفيها يقول :

فَإِنَّ الْحُسْنَ قَدْ وَلَا لِكِ إِحْيَائِي وَإِهْلَاكِي
وَأَوْلَعْنِي بِصَلْبَانِ، وَرُهْبَانِ وَنَسَاكِ
وَلَمْ آتِ الْكِنَائِسَ عَنْ هَوَى فَيَهِنَ لَوْلَاكِ
وَهَا أَنَا مِنْكَ فِي بَلْوَى، وَلَا فَرَجٌ لِلْبَلْوَاكِ
وَلَا أَطِيعُ سِلْوَانًا، فَقَدْ أَوْتَشْتِ أَشْرَاكِي
وَكَمْ أَبْكِي عَلَيْكَ دَمًا، وَلَا تَرْتِينَ لِلْبَاكِي
فَهَلْ تَدْرِينَ مَا تَقْضِي عَلَى عَيْنِي عَيْنَاكِ ؟
وَمَا يُذَكِّيهِ مِنْ نَارٍ، بِقَلْبِي نُورُكَ الْذَاكِي (١)
نُورِيَّةُ إِنْ قَلَيْتِ فَإِنِّي أَهْوَاكِ أَهْوَاكِ ! (٢)
وَعَيْنَاكِ الشَّهِيدَانِ بِأَتِي بَعْضُ قَتْلَاكِ

واكثروا من تشبيه الحبيب بانواع الرياحين لكثرة الرياض والبساتين عندهم ،
ثم لشغفهم بالطبيعة الناضرة الناعمة . وربما اعنوا في ذلك حتى يجردوا من محبوبهم
روضة مختلفة الازهار والالوان . ومن ذلك قول ابن خفاجة (٣) في طيف الحبيب :
تَنْدَى بِفِيهِ أَقْحَوَانَةٌ أَجْرَعُ ، قَدْ غَازَلَتْهَا الشَّمْسُ غَيْبَ سَمَاءِ (٤)
وَتَمِيسُ فِي أَثْوَابِهِ رَيْحَانَةٌ ، كَرَعَتْ عَلَى ظَمَأٍ بِجَدْوَلِ مَاءِ (٥)

(١) الذَّاكِي : المتقد . (٢) قَلَيْتِ : ابغضت وهجرت . (٣) هو ابو اسحق ابراهيم
ابن عبدالله بن خفاجة . كان مقيماً بشرق الاندلس ، ولم يتعرض لاستباحة ملوك طوائفها
مع رغبتهم في تقريب اهل الادب، وله ديوان شعر احسن فيه كل الاحسان، ولا سيما وصف
الطبيعة . ولد بجزيرة شُقر من اعمال بلنسية في سنة ٥٢٥ هـ . (١٠٥٨ م) وتوفي بها سنة
٥٣٣ هـ . (١١٣٨ م) . (٤) تَنْدَى : تبطل . الاقحوانة : زهرة صفراء في وسطها
وحواليها ورق ابيض؛ تشبه بها الاسنان . الاجرع : الرمل الطيب النبات . غيب : بعد .
سماء : مطر، يريد ان اسنانه كاقحوانة ضاحكتها الشمس بعد ان سفاها المضر . (٥) ريحانة :
المراد قامته . جَدْوَلِ : الباء بمعنى من . والمراد قامة رياً بماء الشباب .

نَفَاةُ الْأَنْفَاسِ إِلَّا أَذْهَابُهَا حَذَرَ النَّوَى حَفَاةُ الْأَفْيَاءِ^(١)

وهذه التشابيه على ابتدائها، توهم الجدة لما فيها من التلطف في اخراج صورها البيانية، ومثلها قول بعض الاندلسيين :

غَضَبُوا الصَّبَاحَ فَحَسَمُوهُ خُدُودًا، وَأَسْتَوْعَبُوا قُضْبَ الْأَرَاكِ قُدُودًا^(٢)
وَرَأَوْاحِصَ الْيَاقُوتِ دُونَ نُخُورِهِمْ، فَتَقَلَّدُوا شُهَبَ النُّجُومِ عُقُودًا
لَمْ يَكْفِهِمْ حُدَّ الْأَسِنَّةِ وَالظُّبَى، حَتَّى اسْتَعَارُوا أَعْيُنًا وَخُدُودًا

ومن قصائد الغزل الشهيرة قصيدة ابن زيدون في صاحبه ولادة بنت المستكفي، فقد تناقلتها كتب الادب، ورواها الخاصة وتغنى بها العامة لا لدقة معانيها وجدتها، وإنما لسهولة وانسجامها، وروقتها ووقع انعامها. وهي طويلة تجزى بشي. منها قال :

أَضْحَى التَّنَائِي بِدِيلًا مِنْ تَدَائِينَا، وَنَابَ عَنِ طِيبِ لُثْيَانَا تَجَافِينَا
بِنْتُمْ وَبِنَا، فَمَا ابْتَلَتْ جَوَانِحُنَا شَوْقًا إِلَيْكُمْ، وَلَا جَعَتْ مَآقِينَا^(٣)
يَكَادُ حِينَ تَنَاجِيكُمْ ضَمَانُنَا، يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا تَأْسِينَا
حَالَاتٍ لِبُعْدِكُمْ أَيَّامُنَا فَعَدَّتْ سُودًا، وَكَانَتْ يَكُمُ بِيضًا لِيَالِينَا
إِذْ جَانِبَ الْعَيْشِ طَلَّقْتُ مِنْ تَأْلُفِنَا، وَمَوْرِدُ اللَّهْرِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا
وَإِذْ هَضْرْنَا غُصُونِ الْأُنْسِ دَائِيَّةً قُطُوفُهَا، فَجَنِينَا مِنْهُ مَا شِينَا^(٤)
لِيُسْقَ عَهْدُكُمْ عَهْدَ السُّرُورِ فَمَا كُنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَاحِينَا
مَنْ مَنِيغُ الْمَلْبَسِينَا بِأَنْتِزَاجِهِمْ، حُزْنَا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَبْلَى، وَيُيَلِينَا
أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي مَازَالَ يُضْحِكُنَا أَنْسًا بِقُرْبِكُمْ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا
مَا حَقُّنَا أَنْ تُقْرُوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ، بِنَا، وَلَا أَنْ تُسْرُوا كَاشِحًا فِينَا^(٥)

(١) الافياء : جمع فيء وهو ما ينسخ الشمس ويكون من الزوال الى الغروب . كما ان الظل ما نسخته الشمس وهو من الظلوع الى الزوال . والمراد ان قامته توتمش حذر النوى ارتفاع افياء الرياحنة . (٢) استوعبوا : اخذوا الشيء باجمعه . (٣) جوانحننا : الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر . وقوله : ما ابتلت جوانحننا، يريد ما يجده العاشق من حرارة الشوق في قلبه . (٤) هضر الغصن : اماله وكسره . قُطُوفُهَا : جمع قِطْفٍ، اسم لما يُقطف من الثمار . شينا : مسهل شئنا . (٥) كاشحاً : مبعضاً معادياً .

غِيظًا نَعْدَى مِنْ تَسَاقِينَا أَهْوَى فَدَعُوا
 فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِنَا،
 بِالْأَمْسِ كُنَّا وَمَا يُخَشَى تَفَرُّقُنَا،
 لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ
 لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا
 وَتَوَّ مَا طَلَبَتْ أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا
 وَلَا اسْتَفَدْنَا خَلِيلًا عَنكَ يَشْغَلُنَا،
 يَا سَارِي الْبَرْقِ، غَادِ الْقَصْرَ فَاسْقِرْ بِهِ
 وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا

بِأَنْ نَقُصَّ، فَقَالَ الدَّهْرِيُّ : آمِينًا
 وَأَنْبَتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا^(١)
 وَالْيَوْمَ نَحْنُ، وَمَا يُرْجَى تَلَاقِينَا
 رَأْيَا، وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا
 أَنْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَا
 مِنْكُمْ، وَلَا أَنْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا
 وَلَا اتَّخَذْنَا بَدِيلًا مِنْكَ يُسَلِّينَا
 مَنْ كَانَ صِرْفَ أَهْوَى وَالْوَدَّ يَسْتَقِينَا^(٢)
 مَنْ لَوْ عَلَى الْبُعْدِ حَيًّا، كَانَ يُحْيِينَا

الخمریات

النبيو . مجالس اضراب . حب الخمر . الفحش والمجون .
الاستخفاف بالدين . شعراء الخمر .

عني الاندلسيون بوصف الخمر لشغفهم بها ، واقبالهم على شربها . لان طبيعة بلادهم ، وما فيها من منازة ورياض وانهار يحمل النفس على طلب اللهو والشراب . فاجادوا نعتها ، ووصفوا معها آنتها والساقى والنديم ، ومجالسهم وما يجري فيها من غنا . وعبث . وكانوا يتوكؤون في كثير من معانيهم على ابي نواس ، واولعوا بقوله :

تَسْقِيكَ مِنْ ظُرْفَيْهَا خَمْرًا ، وَمِنْ يَدَيْهَا خَمْرًا ، فَمَا لَكَ مِنْ سُكْرَيْنِ مِنْ بُدْ
فتناوله جملة من شعرائهم ، وتفننوا في الانسحاب عليه . واحسن ابن عبد ربه اذ يقول :

بِأَبِي مَنْ زَهَا عَلَيَّ بِرُوحِهِ ، كَأَدَى يَدْمِي لَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ^(١)
أَوَّلَ الْكَأْسِ وَأَسْتَمَالَ بِلِحْظِهِ ، فَسَقَّتْنِي عَيْنَاهُ قَبْلَ يَدَيْهِ ^(٢)

وهم كالمشاركة يشوبون خمرياتهم بالفحش والمجون والاستخفاف بالدين . والطفها ما جاء ممتزجا بالفاظ الطبيعة الناضرة ، فان فيه من العذوبة والخيال الشعري شيئا غير يسير قال ابن خفاجة :

وَأَغْيَدَ فِي صَدْرِ الْكَلَامِ لِحُسْنِهِ حُلِيٌّ ، وَفِي صَدْرِ الْقَصِيدِ نَسِيبٌ ^(٣)
يُورِفُ بِرَوْضِ الْحُسْنِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ ، وَقَامَتِهِ ، نُورًا ، وَقَضِيبٌ ^(٤)

(١) زها : اشرق . (٢) استمَالَ : مال . (٣) الاغيد : الدين الاعطاف المائل العنق .
الحلي : ما يتخذ من الحجارة الكريمة اللزينة . النسيب : وصف المحاسن ، والتعريض بذكر
المحبوب . يقول : هذا الاغيد له في صدر الكلام المنشور نعت كالحلي ترين حسنه ، وله في
صدر المنظوم وصف وتعريض بهواه . والمراد ان ذكره يتردد في بدء كل منشور ومنظوم .
(٤) النوراة : زهرة الشجر .

جَلَّاهَا ، وَقَدْ غَنَّى الْحَمَامُ عَشِيَّةً ، عَجُوزًا ، عَلَيَّهَا لِلْحَبَابِ مَشِيبٌ^(١)
 وَجَاءَ بِهَا حَمْرَاءَ أَمَّا زُجَاجُهَا فَنُورٌ ، وَأَمَّا مَوْجُهَا فَكَثِيبٌ^(٢)
 وَعَازَلْنَا جَفْنٌ هُنَاكَ كَنَزِجِسٍ ، وَمُبْتَسِمٌ كَأَلَا قُحْوَانَ شَنِيبٌ^(٣)
 فَلِلَّهِ ذَيْلٌ لِلتَّصَابِي سَجَبْتُهُ ، وَعَيْشٌ بِأَطْرَافِ الشَّبَابِ رَطِيبٌ^(٤)

ومن تفنن ابن خفاجة في خمرياته قوله يصف ساقياً احذب اسود :

رُبَّ ابْنٍ لَيْلٍ سَقَانًا ، وَالشَّمْسُ تُطْلِعُ غُرَّهُ^(٥)
 فَظَلَّ يَسُودُ لَوْنًا ، وَالكَأْسُ تَسْطَعُ حَمْرَهُ
 كَأَنَّهُ كَيْسٌ فَحْمٍ ، قَدْ أَوْقَدَتْ فِيهِ جَمْرَهُ

(١) جلاها: عرضها كما تعرض العروس. ومن معاني الخمر عند العرب ان يخطبوا الخمرية ويتزوجوها، ويدفعوا مهرها. عجوزاً: خمرية معتقة. الحباب ما يعلو الخمرية من الفقاقيع.
 (٢) اراد بموجها ما يطفو على وجهها من الحبيب، شبهه بالكثيب. (٣) مُبتسم: اي ثغر مُبتسم، او هو مُبتسم اسم لكان الابتسام. شنيب: صافي الاسنان. (٤) التصابي: الميل الى جهلة الفتوة، وحب الصبوة. (٥) القرّة: كل ما بدا من ضوء او صبح.

الصيد

قصائد وازاجيز . طريقة الجاهليين . طريقة المولدين .
شعراء الصيد .

(وكان الصيد من ملاحيمهم، وملاهي ملوكهم . فوصفه الشعراء في قصائدهم وازاجيزهم، وخلطوا فيه طريقة الجاهليين بطريقة المولدين . فكانوا يصفون جيادهم، وانطلاقهم بها في اثر الطرائد، وكلاهم وشدتها فعل الشاعر الجاهلي ثم يعنون في وصف الجوارح، وادوات الصيد، وما يصاد من الوحوش والطيور فعل الشاعر المولد . وربما مدحوا الامير بذكر صيده، كما قال ابن زمرك في مدح سلطانه ابن الاحمر :

وَلَرُبَّ مُتَدِّ الْأَبَاطِحِ مُوَحِّشٍ ، عَالِي الرَّبِّي مُتَبَاعِدِ الْأَقْطَارِ (١)
هَمَلِ الْمَسَارِحِ لَا يُرَاعُ قَبِيضُهُ ، إِلَّا لِنَبَاةِ فَارِسٍ مِغْوَارِ (٢)
عَرَّضَتْ بِهِ الْمُسْتَنْفِرَاتُ كَانَهَا خَيْلٌ عَرَابٌ جُلْنَ فِي الْمِضَارِ (٣)
أَتَّبَعْتَهَا غُرَّرَ الْجِيَادِ كَوَاكِبًا ، تَنْقُضُ رُجْمًا فِي سَمَاءِ غُبَارِ (٤)
وَالْهَادِيَاتُ يَوْمَهَا عِبْلُ الشَّوَى ، مُتَدَقِّقٌ كَتَدَقَّقِ التِّيَّارِ (٥)
أَزْجَيْتَهَا شُقْرَاءَ ، رَائِقَةَ الْحَلِيِّ ، فَرَمَيْتَهُ مِنْهَا بِشُعْلَةِ نَارِ (٦)

(١) الاباطح ، جمع ابطح : مسيل متسع عريض فيه دقاق الحصى . (٢) الهمل : المتروك سدى . المسارح : المراعي . القبيص : الصيد المنصوص . النبأة : الصوت . يقول : هذا المكان تخوف منه الصيادون لتوحشه، فتركوا مراعيه سدى، واصبح لا يبطه الاكل فارس مغوار . (٣) عرضت : مرت في عدوها عارضة على جنب واحد . المستنفرات : الطرائد التي نُفِرت فنفرت . عراب : عريية خالصة . (٤) الرُّجْمُ : ما يظهر في السماء كأنه نجوم تتناقط، وسكنت الخيم هنا لضرورة الشعر، مفردها رَجَمَ . (٥) الهاديات : اوائل الطرائد النافرة . يومها : يتقدمها . عبل : ضخم . الشوى : الاطراف والقوائم، والمراد طريد ضخم القوائم قوي . (٦) ازجيتها : سقتها . شقراء : صفة للميرة . الحلى : زيتها من المصوغات .

أَثَبَتْ فِيهِ الرُّمَحَ ثُمَّ تَرَكَتُهُ
حَامَتْ عَلَيْهِ الذَّابِلَاتُ كَأَنَّهَا
خَضِبَ الْجَوَانِحُ بِالدَّمِ الْمَوَّارِ^(١)
طَيْرٌ أَوْتٌ مِنْهُ إِلَى أَوْكَارِ^(٢)

ومنها في وصف الطرائد :

وَأَرَيْتَنَا الْكَسْبَ الَّذِي أَعْدَادُهُ،
بَيْضٌ وَصُفْرٌ خَلَّتْ مَطْرَحَ سَرِحِهَا
مَلَأَتْ جَمَالًا أَعْيُنَ النَّظَارِ
مِنْ كُلِّ مَوْشِيٍّ الْأَدِيمِ مُفَوِّفٍ،
رَوْضًا تَفْتَحُ عَنْ شَقِيقِ بَهَارِ^(٣)
رُحُطَ الْبَيَاضُ بِصُفْرَةٍ فِي لَوْنِهِ،
رَقَمَتْ بَدَائِعَهُ يَدُ الْأَقْدَارِ^(٤)
فَتَرَى اللَّجِينَ يَشُوبُ ذُوبَ نُضَارِ

(١) الجوانح : ما يلي الصدر من الاضلاع . الموار : الجاري . (٢) الذابلات :
الرماح . (٣) سرحها : رعيها . الشقيق : ما انشق نصفين من نبت وغيره . البهار :
نبت طيب الرائحة ربيعي، اصفر الورق، احمر الوسط . (٤) موشي : منقش . الاديم : الجلد .
مفوف : فيه خطوط بيض على الطول .

الطبيعة وال عمران

جمال التصوير، دقة الوصف، خصب الخيال، الإبداع،
الطبيعة الناعمة، السماء والأرض، حب الأندلسي للطبيعة،
حبه لوطنه، تعصبه له، جمال الأندلس، الطبيعة
في الأشياء المعنوية، في الأشياء المادية، في المدح
والتخنيص إليه، في الغزل، تشخيص الطبيعة، احساسهم
نحوها، درس نفسياتها، رقتهم، جمال تشابيحهم.

إذا شئت ان تلتمس ابداع شعراء الأندلس واقتنائهم، ودقة وصفهم، وجمال
تصويرهم، وحلاوة معانيهم، وخصب خيالهم؛ فاستمعهم يذكرون الطبيعة الناعمة
الناضرة، وينعتون زينتها وحلاها، واصباغها واللوانها، ويصورون حضارتها وعمرائها.
فترى شعرهم حافلاً بذكر الرياض والازهار، والطيور والأشجار، والجداول
والانهار، والنجوم والأقار، والغيوم والأمطار، والقصور وحدائقها، والبرك ودوافقها،
والصور والتماثيل، والنقوش والتهاويل، وما الى ذلك من مفاتيح في الطبيعة وال عمران.
والاندلسي اشغف الناس بالطبيعة، وألصقه بها، لا يفتأ يتغنى بمجاسنها سواء كان
جاداً او لاهياً، ضاحكاً او باكياً.

وإذا شئت ان تلتمس حب الوطن في الشعر العربي، فاطلبه عند شعراء الأندلس،
فانه ممتزج بكل علقه من دمائهم، مصور في كل جارحة من جوارحهم. والاندلس
قبلة شاعرها كيف اتجه، والى اغترب، لا ينقطع عن ذكرها، ولا يرى بلداً في
الدنيا يضاهيها. فجعلها فوق كل جمال، وعمرائها دونه كل عمران، وهي جنة الخلد
بجورها وولدائها، ورحيقها وكوثرها.

وليس بينه وبين الشاعر العباسي شبه من هذه الناحية؛ لان العاطفة الوطنية ضعيفة
في شعر المشاركة، لا تكاد تلمح لها خيالاً الا في الندرى. والظاهر ان وجود المسلمين
في بقعة تحيط بها دول نصرانية، لا تأتي تجاهدهم لتخرجهم منها ذوداً عن الدين

والوطن ، مكن هذه العاطفة فيهم وجعلهم يقابلون أعداءهم بسئل حتى أصبح حب الوطن مالكا على نفوسهم .

وحق لأهل الأندلس ان يتعبدوا لوطنهم ، فان هذا الصقع الجميل المخصب جنير بان يمتلك القلوب ويستويها ، ولأسيما قلوب الشعراء ، فانها اسرع من غيرها الى تعشق الجمال والخضوع لسلطانه ، واستشفاف سحره ، والفناء في مادته وروحانيته . وقد استحثت الأندلس قرائح الشعراء بوحي طبيعتها وغذتها افضل غذاء ، وحبها بخيال جميل لم يظفر بمثله من شعراء الشرق الا الاقلون . فن قرطبة واشيلية وغرناطة كانت ابلغ اثرا في مخيلات الشعراء من الشام والعراق ومصر . فاذا هم والطبيعة إلفان لا يفترقان ، وروحان متصلان . واذا الطبيعة لديهم نفس هيولانية تقبل جميع الصور وتقمص جميع الاجسام ، لا يخلو عنها غرض من اغراضهم ، ولا يتخلى منها خاطر من خواطرهم . فان مدحوا خصوها بنصيب من مدحتهم ، فجعلوا صورها بالاشياء المعنوية :

هَصَرَتْ يَدَيَّ عُصْنُ أَنْدَى مِنْ كَفِّهِ ، وَجَنَّتْ بِهِ رَوْضَ السَّرُورِ مُنَوَّرًا

او بالاشياء المادية :

أُثْمِرَتْ رُمَحُكَ مِنْ رُؤُوسِ كَمَا تِهِمُّ ، لَمَّا رَأَيْتَ الْفُضْنَ يُعَشِّقُ مُشِيرًا

ويهدي شاعرهم قصيدته الى مدوحه فما يرى غير الروض شبيها لها :

وإِلَيْكُمَا كَأَلرَّوْضِ زَارَتْهُ الصَّبَا ، وَحَنَّا عَلَيْهِ الْاَطْلُ حَتَّى نُوْرًا

وربما اراد التخلص الى المدح فيستخدم الطبيعة سبيلا الى مدوحه كما فعل ابو عامر ابن شهيد في مدح المؤمن بن عامر فانه استهل مدحته بذكر الحمر والساقى ، وانتهى الى وصف سحب ماطر :

وَعَمَامٍ بَاكَرْتَنَا غَيْمُهُ ، تُتْرَعُ الْأَفْتِقَ بِدَمْعٍ صَيِّبٍ
مِثْلَ بَحْرِ جَاءَنَا مِنْ فَوْقِنَا ، جَرْمُهُ مِنْ أَوْلُوْرِ لَمْ يُثَقِّبِ^(١)

(١) جرمه : جسمه . من أولو لم يثقب : اراد به البرك .

ثم شرع يتحدث الى المزن كمن يتحدث الى انسان عاقل حتى اعد سبب الانتقال الى المدح :

فَسَأَلْنَاهُ ، وَقَدْ أَعْجَبْنَا حَشَوَهُ الْعَيْنَ بِمَرَأَى مُعْجِبٍ : (١)
 «أَنْتَ مَاذَا؟» قَالَ : «مُزْنٌ عَلَّمَتْ كَفَّهُ النَّفْعَةَ كَفًّا دَرِبٍ» (٢)
 «رَأَيْتَنِي بِالشَّرْقِ أَنْ أَسْقِيَكُمْ ، رَحْمَةً مِنْهُ ، بِأَقْصَى الْمَغْرِبِ» (٣)
 فَسَأَلْنَاهُ : «أَبْنُ ذَلِكَ لَنَا ، قَالَ : «هَلْ يُخْنِي ضِيَاءُ الْكَوْكَبِ؟»
 «مَلِكٌ نَاصِبٌ مَنْ خَالَفَكُمْ ، عَامِرِي الْمُنْتَمَى وَالْمَنْصِبِ» (٤)

وان تغزلوا متشوقين الى احبتهم عنت لهم ايام اللقاء ، بالاندلس ، فينقطعون عن الغزل منصرفين الى وصف موضع اللقاء كأن لذة الاتصال بالطبيعة كافية ان تؤدي شرح احوالهم الى احباتهم الهاجرين . قال ابن زيدون يذكر ولادة وهو بالزهراء ، وهي في قرطبة :

إِنِّي ذَكَرْتُكَ بِالزَّهْرَاءِ مُشْتَاقًا ، وَاللَّيْسِمِ اعْتِلَالٌ فِي أَصَانِهِ ،
 وَالرَّوْضُ عَنْ مَائِهِ الْفِضِي مُنْتَسِمٌ ، وَالرَّوْضُ عَنْ مَائِهِ الْفِضِي مُنْتَسِمٌ ،
 يَوْمٌ كَأَيَّامِ لَدَاتِ لَنَا أَنْصَرَمَتْ ، يَوْمٌ كَأَيَّامِ لَدَاتِ لَنَا أَنْصَرَمَتْ ،
 نَاهُو بِمَا يَسْتَمِيلُ الْعَيْنَ مِنْ زَهْرٍ ، نَاهُو بِمَا يَسْتَمِيلُ الْعَيْنَ مِنْ زَهْرٍ ،
 كَأَنَّ أَعْيُنَهُ ، إِذْ عَايَنْتِ أَرْقِي ، كَأَنَّ أَعْيُنَهُ ، إِذْ عَايَنْتِ أَرْقِي ،
 وَرَدُّ تَأَلَّقَ فِي ضَاحِي مَنَابِتِهِ ، وَرَدُّ تَأَلَّقَ فِي ضَاحِي مَنَابِتِهِ ،

(١) حشوه : فاعل اعجبنا . (٢) مزن : سحاب فيه مطر . النفحة : العطية . درب : متمرن معاد . والمراد كفاً الممدوح . (٣) المراد ان الممدوح جاء به من الشرق ليستقيم في الغرب . (٤) ناصب : عادى وحارب . المنصب : الحسب والاصل . (٥) اللبات ، جمع لبة : موضع القلادة من الصدر . والمراد يتألق الماء الفضي في الروض تألق نحر الحييناء اذا كشفت عنه الاطواق . (٦) اعناقاً : تمييزاً؛ والمراد مالت اعناقها . (٧) جعل الزهر يشعر بأرقه فيبكي اشفاقاً عليه، وجعل الندى في اوراق الزهر دمعاً يتفرق . (٨) الضاحي : الظاهر، والبارز للشمس .

سَرَى يَنَافِخُهُ نَيْلُوفَرٌ عَمِيقٌ ، وَنَسْنَانٌ نَبَّهَ مِنْهُ الصَّبِيحُ أَحْدَاقًا^(١)
كُلُّ يَهِيحُ لَنَا ذِكْرَى تَشْوِيقًا ، إِلَيْكَ لَمْ يَعُدُّ عَنْهَا الصَّدْرُ أَنْ ضَاقًا^(٢)

ويصف عاشقهم حبيبه فيجعله جنة مختلفة الازهار ؛ وقد اوردنا في باب الغزل شواهد على ذلك . وربما تعنف فما يرى غير الطبيعة صورة لعفته كقول ابي عمر بن فرج :

وَطَائِعَةُ الْوَصَالِ عَفَّتْ عَنْهَا ، وَمَا الشَّيْطَانُ فِيهَا بِالْمُطَاعِ
وَمَا مِنْ لَحْظَةٍ إِلَّا وَفِيهَا ، إِلَى فِتْنِ الْقُلُوبِ بِهَا ، دَوَاعِ
كَذَلِكَ الرَّوْضُ مَا فِيهِ لِمِثْلِي ، سِوَى نَظَرٍ وَشَمٍّ مِنْ مَتَاعِ
وَلَسْتُ مِنَ السَّوَائِمِ مُهْمَلَاتِ ، فَاتَّخَذَ الرِّيَاضَ مِنَ الْمَرَاعِي^(٣)

ويطول بنا الامر ان تتبعنا صور الطبيعة في مختلف انواع الشعر الاندلسي ، فحسبنا القول انها حديثهم في جميع اغراضهم . والرجوع الى اشعارهم يؤيد صحة ما نقول .

وكان من امعانهم في ابراز صور الطبيعة وتشخيصها ان شغلوا عن وصف احساسهم بمجالها ، وتذوقهم اسرارها ، والتذاذهم الاتحاد بها ؛ فخلا شعرهم او كاد يخلو من تصوير اختلاجات نفوسهم نحوها ، وانجذاب عواطفهم اليها . مثال ذلك قول ابن خفاجة وهو اشعر من وصف الطبيعة عندهم ، وشغف بمحاسنها ، واتصل بها . قال يصف نهراً :

مُتَعَطِّفٌ وَيُشَلُّ السَّوَارِ كَأَنَّهُ ، وَالزَّهْرُ يَكْتَفِيهِ ، مَجْرٌ سَمَاءُ^(٤)
قَدَرَقٌ حَتَّى ظَنَّ قُرْصًا مُفْرَغًا مِنْ فِضَّةٍ ، فِي بُرْدَةِ خَضْرَاءِ^(٥)

(١) ينافحه : يدافعه . النيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة ، له اصل كالجزر ، وساق املس ، يطول بحسب عمق الماء فاذا ساوى سطحه اوراق وازهر ، واذا بلغ يسقط عن رأسه ثمر داخله بزر اسود . النوسنان : من غلب عليه النعاس . (٢) لم يعد : لم يلبث . (٣) السوائم : الماشية ترعى حيث تشاء ؛ مفردتها سائمة . مهملات : متروكات ترعى بدون راع . (٤) يكتفيه : يحوطه . المجر : المجرة ، ودرج التبان عند العامة . يقول : ان هذا النهر متعطف مثل السوار وكأنه وازهر يحوطه ، المجرة يحوطها النجوم . (٥) شبه النهر المتعطف كالسوار بقرص من فضة ، وشبه ما يحيط به من النبات بالبردة الخضراء .

وَعَدَّتْ تَخْفُ بِهِ الْعُصُونُ كَأَنَّهَا هُدْبٌ يَخْفُ بِثِقَلِهِ زُرْقَاءُ^(١)
وَالْمَاءُ أَسْرَعَ جَرِيَهُ مُتَّحِدِرًا، مِثْلَوِيًّا كَالْحَيَّةِ الرَّقْطَاءُ^(٢)
وَالرَّيْحُ تَغَيَّبَتْ بِالْعُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى نُجَيْنِ الْمَاءِ^(٣)

ولكنهم ابدعوا في بث الحياة بها، ودرس نفسانيتها على ما يوحي اليهم خيالهم الخصب، فعل ابن زيدون في قافيته التي ارسلها الى ولادة، وفعل ابن شهيد في وصف السحاب الماطر . وكثير من معاني الأندلسيين في الطبيعة مطروق، سبقهم اليه المشاركة، ولكنهم تلطفوا في اخراجه، وتفننوا في تصويره فظهرت عليه الحدة والظرافة كقول ابن الزقاق:

وَرِيَاضٍ مِنَ الشَّمَاثِقِ أَضْحَتْ يَتَهَادَى بِهَا نَسِيمُ الرِّيَّاحِ
زُرْتُهَا، وَالْعَمَامُ يَجْلِدُ مِنْهَا زَهْرَاتٍ تَفُوقُ لَوْنَ الرَّاحِ
قُلْتُ: «مَا ذُرْتُهَا؟» فَقَالَ مُجِيبًا: «سَرَقَتْ حَمْرَةَ الْخُدُودِ لِلْمَلَّاحِ!»

وشغف الأندلسيين بالطبيعة، منجم خيالاً جميلاً، وتشابيه حلوة، فكانت الرقة والنعومة ميزة اشعارهم، والفضل في ذلك للاندرلس وما لربوعها من تأثير في نفوسهم، حتى كان حبهم لها عبادة . قال ابن خفاجة :

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسِ لِلَّهِ دَرُكُكُمْ، مَاءٌ، وَظِلٌّ، وَأَشْجَارٌ، وَأَنْهَارٌ
مَا جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَّا فِي دِيَارِكُمْ، وَلَوْ تَخَيَّرْتُ، هَذَا كُنْتُ أَخْتَارُ^(٤)

وكان الاندرلس وطبيعتها القسط الاوفر في موشحاتهم الشهيرة .

(١) الهدب : شعر اشجار العيون؛ شبه العصور في تمدلها على النهر باشجار العين، وشبه النهر المستدير بالعين الزرقاء . (٢) الرقطاء : ما شاب بياضاً سواد او عكس ذلك . شبه الماء واختلاف لونه في الظلال حين تلويه، بالحية الرقطاء . (٣) الاصيل : بعد العصر الى الغروب . النجيين : الفضة . (٤) هذا : اي هذا المكان، يفضل الاندرلس على جنة الخلد .